جامعـــة مولـــود معمـــري – تيـــزي وزو–
كليـــة العلـــوم الإنســـانية والإجتماعيـــة
قســـم العلـــوم الإنســـانيـــة
فـــرع التـــاريخ

تخصص تاريخ الجزائر الحديث

التنظيم الاجتماعي في منطقة الزاورة أواخر العهد العثماني

(1749 – 1830 م)

مذكـــرة مقدمـــة لنيـــل شهـــادة المـــاستر في تـــاريخ الجـــزائـــر الحـــديث

(1519 – 1830 م)

إعداد الطلبة:

- أسيـــا بولجـــا

إشراف الأستاذة:

مزهـــور صالحي

- حفيـــظ شريقي

السنة الجامعية 2019–2020

جامعـــة مولـــود معمـــري – تيـــزي وزو–
كليـــة العلـــوم الإنســـانية والإجتماعيـــة
قســـم العلـــوم الإنســـانيـــة
فـــرع التـــاريخ

تخصص تاريخ الجزائر الحديث

التنظيم الاجتماعي في منطقة الزاورة أواخر العهد العثماني

(1749 – 1830 م)

مذكـــرة مقدمـــة لنيـــل شهـــادة المـــاستر في تـــاريخ الجـــزائـــر الحـــديث

(1519 – 1830 م)

الأعضاء	الرتبة	الصفة
مزهورة صالحي	أستاذة.د.محاضرة قسم "أ"	مشرفا و مقررا
سليم بلعوج	أستاذ .د.محاضرة قسم "ب"	رئيسا
زكية فلاح	أستاذة.د.مساعدة قسم "أ"	مناقشا

إعداد الطلبة:

- أسيـــا بولجـــا
- حفيـــظ شريقي

إشراف الأستاذة:

مزهـــور صالحي

السنة الجامعية 2019–2020

اهـــداء

الى التي ربتني وتحملتني ولم تشتكي يوما وسهرت على راحتي، وإلى من تنتظر نجاحي يوما بعد يوم أمي الغالية "نصيرة" حفظها الله برضاه وأطال الله في عمرها.

إلى الذي حرص على تربيتي وسهر دائما على راحتي وسعادتي أبي "فرحات" أطال الله في عمره وأمده بالصحة والعافية.

إلى أعمامي الذين لم يبخلوا علي بشيء طيلة مشواري الدراسي خاصة "عبد الغاني"

إلى كل إخوتي: ماسينيسا وبلال ومجيد ونجيبة وتوأمي ميسة التي كانت اليد اليمنى لي.

الى كل صديقاتي في فرع التاريخ وفي الإقامة الجامعية.

وإلى كل من ساندني من قريب وبعيد في إنجاز هذا العمل المتواضع.

"أسيا"

اهـــداء

الحمد لله الذي وفقنا في إنجاز هذا العمل المتواضع.

أهدي هذا العمل إلى العائلة الكريمة وبالخصوص إلى **الأبوين الكريمين** أطال الله في عمرهما.

في عمرهما وإلى **أخي وإخوتي** وكل من ساندني من قريب أو بعيد.

حفيظ

كلمة شكر

بسم الله الذي خلق العلم والقلم، بسم الهادي نهدي ونتقدم بجزيل الشكر وجميل العرفان وعظيم الإمتنان للأستاذة المشرفة التي لم تبخل علينا بمساعدتها "الأستاذة صالحي مزهورة" والتي كانت خير عون لنا في إنجاز هذا العمل المتواضع، كما نتقدم بالشكر إلى كافة أساتذة تخصص التاريخ.

ونخصص أيضا شكرنا إلى عمال المتحف الجهوي للمجاهد خاصة عمال المكتبة وكل من ساندنا وشجعنا في إنجاز هذا العمل من قريب ة بعيد.

اسيا و حفيظ

مقدمة

يعتبر موضوع :***"التنظيم الاجتماعي في بلاد الزواوة (1749- 1830م)"***، من المواضيع الهامة الجديرة بالبحث الأكاديمي، إذ كان محل اهتمام القادة العسكريين الفرنسيين أمثال هانوتو و لوتيرنو خاصة فـــي النصف الثاني من القرن 19م، وهناك بعض الأعمال والأبحاث الجزائرية خلال القرن20 ، مثل سي أعمر بوليفة. ونحن كطلبة أردنا من خلال هذه المذكرة إضفاء المزيد من البحث والوضوح على هذا الموضوع، الذي يشكل الهوية الاجتماعية والتاريخية لمنطقة القبائل. عرفت المنطقة تحوّلات جذرية سنة 1749، عندما قررت قبائل زواوة إصدار ميثاق مشترك يمنع المرأة من الميراث، إلى سنة 1830، تاريخ سقوط الجزائر ضحية الاستعمار الفرنسي.

فمجمل الدراسات الخاصة بمنطقة زواوة في الفترة الحديثة تخص التاريخ العسكري وعلاقات هذه القبائل بالسلطة.

تجدر الاشارة إلى أن اختيارنا للموضوع قد وقع على التسمية التاريخية "الزواوة" باعتبارها مصطلحا جغرافيا مشتقا من التسمية المحلية لمجموعة أعراش جرجرة المسماة "إقاواون". أما تسمية القبايل قد روجت عند الأتراك (عند الفرنسيين: القبائل Les Kabyles) بغية تمييز أهالي الزواوة عن غيرهم من السكان الوافدين إلى مدينة الجزائر.

تميزت بلاد الزواوة عبر تاريخها بالحركية الاجتماعية، ولعلى ما ميز هذه الحركية هو تنظيمها المولود من رحم القرية (ثادارث)، إذ تمثل جماعة القرية (ثاجماعث)، جهاز إداري وقضائي لحل كل المشاكل والنزاعات. فوصفها الكتاب الفرنسيين ببرلمان القرية، إلى جانب العرف الذي اعتبره هانوتو بمثابة دستور المنطقة.

تكمن أهمية موضوع ***"التنظيم الاجتماعي في بلاد الزواوة 1749-1830"*** كونه يتطرق إلى وضع المجتمع الزواوي في العهد التركي، كما يبيَن خصوصيته الثقافية والاجتماعية البارزة والتنظيم المؤسساتي للمنطقة، المتكون من القرية والجماعة والأعراش والذي ينعكس حتما على الحياة اليومية للإنسان الزواوي المتمسك بقيَمه العرفية وكذا بأرضه. دون أن ننسى دور الأشراف المرابطين وشيوخ القبائل في تكريس هذه القيم إلى جانب الوقوف كوساطة مع السلطة الحاكمة.

أولاَ: دوافع اختيار الموضوع : دفعتنا عوامل كثيرة لبحث في هذا المجال (الاجتماعي) واختارنا عنوان: ***"التنظيم الاجتماعي في بلاد الزواوة (1749-1830)***. ومن هذه العوامل نذكر:

1- الاهتمام بالتاريخ المحلي لمنطقة الزواوة بصفة عامة والفترة الحديثة من 1518 إلى 1830 بصفة خاصة، كونها تمثل تخصصنا في الماستر.

2-رغبتنا في التعرف أكثر على عادات وتقاليد المنطقة، التي كبرنا معها.

3- قلة دراسات الأكاديمية الجامعية، معظم الدراسات فرنسية، أنجزها قادة عسكريون.

4- أهمية الموضوع، الذي لا شك سيساهم في إثراء مكتبة الجامعة.

5-توجه اهتمامات الجامعة الجزائرية في السنوات الأخيرة إلى الاهتمام بكل ما هو محلي.

ثانيا: تحديد إشكالية البحث:

قد ارتأينا طرح الإشكالية في التساؤلات التالية:

من خلال دراستنا لموضوع ***"التنظيم الاجتماعي في بلاد الزواوة 1749- 1830":***

فقد حاولنا الاجابة على جملة من تساؤلات التي طرحناها في اشكالية البحث وهي :

كيف كان التنظيم الاجتماعي في بلاد الزواوة أواخر العهد العثماني، وماهي خصوصياته ومميزاته؟

وقد تفرعت عن هذه الإشكالية عدة تساؤلات فرعية:

- ماهي التركيبة الجديدة التي ظهر بها المجتمع الزواوي بعد الوجود العثماني؟
- هل كان للعامل الجغرافي دورا في تكوين هوية المنطقة؟
- ما مكانة المرابطين والطرقية في المجتمع الزواوي؟ وكيف وظفت الإدارة العثمانية الأشراف لمحاربة الثورات المحلية؟
- ما طبيعة العلاقة بين الإدارة المحلية والسكان؟

ثالثا: الخطة المنتهجة:

وأما الخطة التي انتهجنها، والتي حاولنا من خلالها الإحاطة قدر الإمكان بلب الموضوع ودلالاته وأهميته التاريخية، فإنها تشكلت في الأساس من مقدمة ومدخل مختصر وثلاثة فصول وخاتمة، وجملة من الملاحق الهامة التي تخدم الموضوع.

أردنا أن يكون المدخل تمهيدا يساعدعلى استيعاب الموضوع، عرفنا بلاد الزواوة طبيعيا وجغرافيا واجتماعيا. كما شرحنا مصطلح الزواوة ، ونسبهم.

يمكن إجمال خطة البحث على النحو التالي :

- **الفصل الأول**: تحت عنوان:***العرف وفعاليته في المجتمع الزواوي***". إذ عرفنا العرف والعادة والأحكام العرفية ونماذجها. وكذا آليات تفعيل هذه القيم العرفية. وتعرضنا إلى التنظيم المؤسساتي للمجتمع الزواوي.
- **الفصل الثاني**: بعنوان "***المرابطين والرحمانية وعلاقتهم بالسلطة المحلية***"، تناولنا فيه موضوع المرابطين، خاصة الدور الفعال الذي لعبوه، ومكانة الزاوية الرحمانية في المجتمع، ودورها في محاربة الفساد والشعوذة.
- **الفصل الثالث:** الذي كان تحت عنوان ***» طبيعة العلاقة بين الإدارة المحلية والسكان***"، وتناولنا فيه علاقة السلطة بقبائل المخزن، استراتجيات السلطة العثمانية في بلاد الزواوة، ردود أفعال السكان لهذه السياسة، دور الزواوة في الجهاد البحري .

رابعا: المناهج المتبعة: و لدراسة هذا الموضوع قمنا بإتباع المناهج التالية :

- **منهج تاريخي** : يتبع التنظيم الاجتماعي في بلاد الزواوة خلال الفترة المدروسة .
- **منهج تحليلي وصفي** : ذلك بتحليل طبيعة هذا التنظيم الموجود في المنطقة انعكاساته على المجتمع الزواوي .

وفي الخاتمة استعرضنا ما بدا لنا مهمًا من نتائج، وفي الأخير أرفقنا الموضوع بمجموعة من الملاحق.

خامسا: المصادر والمراجع:

1- أبو يعلى الزواوي: ***تاريخ الزواوة***، تكمن أهمية الكتاب في سرده لمحامد وخصائص السكان في المنطقة والتي شهدها هو بنفسه أو تلك رواها له والده فهي نفسها في الغالب ولقد افادنا بكثرة في الفصل الأول، رغم أنه لم يعايش الفترة.

2- هانوتو ولوتورنو: ***منطقة القبائل والأعراف القبائلية (ج 1،ج2، ج3)***، تيزي وزو 2013 . تكمن أهميته أنه تناول الحياة في منطقة الزواوة وبعمق.

3- مؤلف مجهول : *مخطوط سيرة الزواوة* ،**رقم 3012**. اعتمدنا عليه لأنه يعكس تماما الحياة الاجتماعية في المنطقة المدروسة من كل جوانبها ،ابتداء من الأسرة إلى القرية معرضا خلالها عاداتهم و تقالدهم و معتقداتهم بشكل مفصل .

4- حمدان بن عثمان خوجة :***"المرآة"*** ، تقديم و تعريب و تحقيق محمد العربي الزبيري ، منشورات ANPA الذي أرخ للفترة الأخيرة من الوجود العثماني في الجزائر، وتطرق إلى السكان وحياتهم الاجتماعية.

5 -زيدين قاسيمي: *قيادة سيباو*"، تاريخ منطقة القبائل في العهد العثماني و بداية الاحتلال الفرنسي، دار الأمل للطباعة و النشر و التوزيع،الجزائر 2009 . تناول الكتاب تاريخ منطقة سيباو .

أما الرسائل الجامعية اعتمدنا على :

1- محمد أرزقي فراد: ***"المجتمع الزواوي في ظل العرف و الثقافة الإسلامي 1749-1949"***، والتي تتناول فيها خصائص المجتمع الزواوي والتنظيم المؤسساتي والقيم العرفية فعاليتها في المجتمع.

2- **نبيل بومولة**:"***"القوى المحلية في منطقة القبائل الشرقية في القرن10 هـ- 16م"*** **بني عباس نموذجا.**

وتتمثل الصعوبات التي اعترضتنا أثناء القيام بهذا البحث في كون طبيعة الموضوع حساس جدا، يمس هوية الفرد والجماعة، وكذا طبيعة علاقة قبائل المنطقة بالإدارة المحلية.

وفي الأخير، نتقدم بأسمى كلمات الشكر والتقدير والاحترام لكل من قدم لنا يد المساعدة من بعيد أو قريب.

مدخل
لمحة عامة عن الزواوة

مدخـــــل:

تعتبر الحياة الاجتماعية انعكاسا للصداع بين حياة الإنسان والبيئة المحيطة به، فلقد ارتبطت المعطيات الجغرافية لمنطقة القبائل، اِرتباطًا وثيقًا بالمنحى الذي رسمته التفاعلات السياسية والعسكرية بها، لذا فإن إدراك خصائص الموقع الجغرافي لمنطقة يكسي أهمية خاصة، فهي بلاد شاسعة تقع في الوسط الشمالي الشرقي في من الجزائر، بحيث تمتد من واد يسر غربًا إلى جبال البابور شرقًا ومن البحر شمالاً إلى برج بوعريرج والبويرة جنوبًا[1].

أما من الناحية التضاريسية فإن بلاد الزواوة[2] منطقة جبلية من الدرجة الأولى فحسب تقدير أنوتو ولوتورنو، فقد قسمها إلى أربع مناطق ولكل منها طابعها الخاص فمنطقة الوسط تضم جرجرة وكل الكتلة الجبلية القبائلية تحدها شمالاً ومن الشرق يحدها سهل سيباو، وأما جهة الغرب والجنوب يحدها منخفض ذراع الميزان، أما بالنسبة للمنطقة الشرقية، فهي تتشكل من الكتلة الغابية لأكفادو مع امتداداتها بين قبائل جرجرة وقبائل البابور، أما من الناحية الساحلية يضيف قائلاً أن امتداد هذه المنطقة هو امتداد جانبي لسابقتها لكنها بمظهر مختلف، بحيث أن الغابات محددة الارتفاع تتناقص تدريجيًا لتنخفض إلى تلال يسر، أما المنطقة الرابعة تتشكل من سلسلة رئيسية بحيث تتجه جبالها السائدة تدريجيًا نحو التلال المنخفضة للسواحل[3].

فمنطقة الزواوة تمتاز بطبيعة وعرة في غالبها لكنها، ساحرة وخلابة وهواء نقي تكسوها أشجار بمختلف الأنواع منها الزيتون والبلوط والصنوبر... وهذا ما جعلها خضراء على الدوام تقريبًا[4].

---

[1]– أرزقي فراد: **المجتمع الزواوي في ظل العرف والثقافة الإسلامية 1749– 1949م**، أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، كلية العلوم الانسانية و الاجتماعية ،قسم التاريخ ، جامعة الجزائر،2010–2012 . ص 02.

[2]– الزواوة: تشكل حاليا إجمالية أراضي ولايتي بجاية وتيزي وزو وأجزاء من ولايتي سطيف، وبرج بوعريرج والبويرة وبومرداس، مرجع نفسه، ص 02.

[3]– هانوتو و لوتورنو: **القبائل والأعراف القبائلية**، ترجمة مخلوف عبد الحميد ، ج 1، وزارة الثقافة ,الجزائر 2006 .ص23

[4]– مرمول كارباخال: **إفريقيا**، ترجمة محمد حجي وآخرون، الجزء الثالث، دار النشر، المعركة للنشر والتوزيع، الرباط، 1989، ص 16.

يسود فيها مناخ البحر الأبيض المتوسط ويتميز بالرطوبة والاعتدال، حار وجاف صيفا وبارد شتاءا، وهذا ما أدى إل انتشار المراعي على سفح الجبال والغابات الكثيفة في المناطق الوسطى والشرقية منها كمزرانة، وكان لتلك الثروة الأثر البالغ في ازدياد اهتمام حكومة الجزائر العثمانية بهذه المنطقة، فإن لعامل المناخ دورًا مهمًا في ارتفاع الكثافة السكانية فيها من جهة وضبط الحركات في اتجاهاتها في كثير من الأحيان من جهة أخرى لاسيما فصل الشتاء[1].

- **أصل تسمية زواوة:**

اختلف المؤرخون حول مصطلح الزواوة ونسبهم، إلاّ أن الأغلبية منهم ينحدرون من جبال البابور وذلك حسب العلامة إبن خلدون[2] والمؤرخ المغربي عبد الوهاب المنصور فلقد رجح الأول نسبهم البرانسي وعدهم من قبيلة كتامة.

أما الثاني فلقد شكك في هذه التسمية ولذلك نتيجة التحريف الذي وقع عند كتابة الزواوة بكلمة الزواغة، والتي جمعت من كلمة زواغة في نسب سمكان بن يحي بن قاريس بن زحيك بن مادغيس الأبتر[3].

أما عبد الرّحمن الجيلالي فقد عدّهم من قبائل قبيلة صنهاجة في قوله :"***من صنهاجة، زواوة، فليسة، بنوا منقلات وعمور***"[4].

أما من حيث اشتقاق التسمية فلقد اشتقت تسمية الزواوة من كلمة "أڤاوا" جمع: "إڤاوون" الدّالة على مجموعة من القبائل (الأعراش) القاطنة في السفوح الشمالية لجبال جرجرة وتشمل هذه القبائل: آث عيسي، آث صدقة، آث بطرون، آث إيراثن، آث منڤلات، آث يليلتن، آث يتسورغ[5].

ولقد اشتهر سكان هذه المنطقة بممارسة التجارة المنتقلة عبر الوطن، كما اشتهروا بجهودهم العلمية خاصة آث منقلات وبصناعة الأسلحة والحلي والعملة النقدية بآث يني

---

[1]– زين دين قاسمي: **قيادة سيباو**، دار الأمل، تيزي وزو، الجزائر، ص 24.

[2]– ابن خلدون :**تاريخ ابن خلدون**،القسم الأول ،المجلد 6، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ،1981 ص 262.

[3]– عبد الوهاب بن منصور: **قبائل المغرب**، الجزء الأول، المطبع الملكية، الرباط، 1968، ص 320.

[4]– عبد الرحمن الجيلالي، **تاريخ الجزائر العام**، ج1، دار الفكر و التوزيع لبنان، 1983، ص 42.

[5]– عبد الرحمن الجيلالي: مرجع سابق، ص 42.

وبكونهم رواد التجارة في تلك الفترة ذاع صيتهم في بلاد واسعة، فأطلق المؤرخون هذه التسمية على إقليم جغرافي أوسع وحدته خصائص ثقافية اجتماعية تسمى بلاد الزواوة[1].

ولقد وردت أيضا تسمية الزواوة في "كتاب مفاخر البربر" لمؤلف مجهول، الذي ألف في مطلع القرن الرابع عشر لميلاد وذلك في سياق الحديث عن علم من أعلام المنطقة قائلاً ***"ومنهم أبو زكرياء يحي علي الزواوي، رجل حلّ إلى المشرق وأخذ هناك عن العلماء وتوفي ببجاية سنة 611م و"زواوة" اسم رجل وهو زواو بن سجمان بن يحي بن تمزيت بن ضريس أخب جانا بن يحي أبي زناتة***[2].

رغم ظهور تسمية "أزواو" في الاستعمال اليومي بعد أن هجرها أهلها، إلاّ أنّ هناك مؤشرات تدل على توظيفها في المجتمع قديمًا قبل أن تتغلب عليها تسمية "القبائل" كأسماء أماكن "آث زواو" بناحية "تيقزيرت البحرية" المشهورين بالسيوف وألقاب عائلية أزواو أو زراري المنتشرة بكثرة[3].

لقد برزت تسمية "زواوة" في العصر الحديث وذلك بفضل جهود أعلام الحركة الإصلاحية كالشيخ السعيد أبو يعلى (1866- 1952)، والذي أضاف نسب الزواوي إلى اسمه بحيث ألف كتاب حول تاريخ المنطقة بعنوان "تاريخ الزواوة" الذي صدر في دمشق سنة 1920، وهناك من الكتاب من ربط تسمية الزواوة بالقبائل أمثال محمد مبارك الميلي على حدّ قوله ولقد اشتهرت مواطن الزواوة باسم القبائل[4].

وتجدر الإشارة أن هذه التسمية استخدمت في الكلمة التمهيدية التي ألقاها العلامة الشيخ محمد البشير الإبراهيمي، عندما نشر عريضة علماء تيزي وزو في جريدة البصائر، التي

---

[1]– محمد أرزقي فراد: المرجع السابق، ص 21.

[2]– مؤلف مجهول، **مفاخر البربر**، نشرة بروفنصال، بتحقيق عبد القادر بوباية المطبعة الجديدة بوهران ، 1934، ص 71.

[3]– محمد أرزقي فراد، مرجع سابق، ص 22.

[4]– مبارك بن محمد الميلي، **تاريخ الجزائر في القديم و الحديث** ،ج 1 المؤسسة الوطنية للكتاب ،بدون تاريخ ، ص 107.

طالبوا فيها من الإدارة الفرنسية إلغاء القوانين العرفية الخاصة بزواوة والرجوع إلى الشرع الإسلامي في الزواج والطلاق والميراث والوصية[1].

وقد أكد أيضا الباحث الشيخ المهدي البوعبدلي في مقال له حول علماء بلاد القبائل أن تسمية "زواوة"[2] شاملة[3].

واللّفت للانتباه أن تسمية الزواوة قد وردت باحتشام في المؤلفات المكتوبة باللّغة الفرنسية نذكر منها على الخصوص كتاب أوجين دوماس (Daumas E)": "أعراف وعادات الجزائر (Mœurs et coutumes de l'Algérie)، الصادر سنة 1853 واستعمل المؤلف كلمة زواوة كمرادف لتسمية القبائل، ثم سرعان ما اختفت التسمية من مؤلفات الفرنسيين لتحمل تسمية القبائل محلها، كما وردت هذه التسمية في كتاب جرجرة عبر التاريخ، لسي أعمر بوليفة كمرادف لكلمة القبائل [4].

إن ما تجدر الإشارة إليه أن دخول الأتراك العثمانيين إلى الجزائر قد ارتبط إلى حدّ كبير ببلاد الزواوة، فعلى إثر احتلال القائد الإسباني بييردي نافارو لمدينة بجاية سنة 1510 وعجز أهلها عن طرد الأسبان، استنجد أحمد بن القاضي الزواوي أمير إمارة كوكو بالأخوين بن عروج وخير الدين [5].

لكن فيما بعد أصبحت إمارة كوكو تضايق الوجود العثماني بحكم تضاريسها الوعرة التي عجز الأتراك عند اختراقها ولموقعها المستلزم لمدينة الجزائر، إذ كانت حدودها تصل إلى "ثيزي ناث عيشة" (الثنية حاليا) [6].

---

[1]– البصائر العدد 59، السلسلة الثانية بتاريخ 6 ديسمبر 1998.

[2]- عرفت في العهد الاستعماري باسمي القبائل الكبرى والقبائل الصّغرى* متداولة في أوساط المرخين وفي مقدمتهم أبو القاسم سعد الله والأستاذ أحمد ساحي

.

[4]– محمد أرزقي فراد: مرجع سابق ، ص 23.

[5]– ابن عسكر: **دوحة الناظر لمحاسن من كان بالمغرب من مشايخ القرن العاشر** التحقيق، د.محمد يحي، ط3، 2000، منشورات التراث الثقافي المغربي، الدار البيضاء، ص 114.

[6]– Joseph. N. Robin : La Grande Kabylie sous le régime Turc, Ed Bouchene, 1999, P. 45.

لعلَ الميزة البارزة في العلاقات بين أمراء كوكو والأتراك العثمانيين أنها كانت تتأرجح بين السلم والحرب، فلقد سعى بعض حكام العثمانيين إلى كسب ودّ الزواوة عن طريق المصاهرة. وفي هذا السّياق تزوج حسن بن خير الدين من إحدى بنات آل القاضي سنة 1561، كما تزوج الرّايس علي بتشين بإحدى أميرات الزواوة في النصف الأول من القرن السابع عشر [1].

أما في القرن الثامن عشر فقد تزوج محمّد علي الذّباح (باي التيطري) بإمرأة تنتمي إلى عائلة بوخنتوش من سلالة آث القاضي، هذا وقد استفاد الطّرفان من المصاهرات، فحصل أهل الزواوة على امتيازات عديدة كحرية التنقل والإقامة وحرية حمل السلاح بمدينة الجزائر مقابل حصول الأتراك على حق المرور عبر بلادهم نحو بايلك الشرق، ومن جهة أخرى لجأ إلى الأتراك العثمانيين للتقرب من المرابطين الأشراف ذوي النفوذ في المنطقة إلى تطبيق سياسة "فرق تسود" باستغلال ذهنيه الصفوف التي شتت أهل الزواوة[2].

إن إخضاع بلاد الزواوة قد تأخر إلى القرن الثامن عشر وذلك بسبب وعرة المنطقة من جهة، ووجود قوتين متنافستان معارضتين للعثمانيين من جهة أخرى وهم رجال الدين المرابطون الذين كانت لهم زعامة روحيّة نافذة وإمارة كوكو المستحوذة على السلطة الزمنية[3].

حسب رأي جوزيف نيل روبان (J. Nil Robin)، فإن دخول الأتراك إلى المنطقة كان في سنة 1720، وهي السنة التي تصادف تأسيس برج سيباو على يد علي خوجة[4] الذي يعد المؤسس الفعلي لفوذ الأتراك في هذه المنطقة، بعد أن نجح في إنهاء حكم أسرة بختوش التي انتهت معها سلطة آث القاضي على إثر انتصاره على " محند واعلي أو بختوش"[5].

---

[1]– محمد سي يوسف: المرأة والسلطة في الجزائر خلال العهد العثماني، المجلة التاريخية العربية للدراسات العثمانية، العدد 25 أوت 2002، منشورات التميمي للبحث العلمي والمعلومات، تونس، ص 78.

[2] –Boulifa : Le Djurdjura à travers l'histoire, Bertie éditions, P 150.

[3].Si amar boulifa »le djurdjura à travers l'histoire. Berti Edition.P 150.

[4]- **زين الدين قاسيمي** :مرجع سابق ص 86

[5]– نفسه، ص 86.

شرع علي خوجة في تأسيس قبائل المخزن[1] في عمراوة (حوض سيباو) لدعم نفوذ الأتراك العثمانيين في بلاد الزواوة، فاستخدم في هذا السّياق عناصر بشرية مختلفة كالزنوج "عبيد شملال" وعائلات عديدة من البويرة وغيرها، وتسجع أيضا السكان المحليين على النزول من جبالهم للاستقرار في السّهل وقسّم عرش عمراوة إلى قسمين:

1- عمراوة الأعلى: (عمراوة أوفلة) مركزه قرية تامدة، حيث مقر عائلة آث قاسي ومعظم سكانه من بلاد الزواوة وكانوا أقل خضوعًا للعثمانيين.

2- عمراوة الأدنى: (عمراوة بادة) مركزه قرية ثاورقة حيث مقر عائلة أولاد محي الدين ذوي النفوذ[2]

على العموم يمكن القول أن الزواويين كانوا متمسكين جدا بأرضهم فلقد قدم الأستاذ أحمد توفيق المدني شهادة حية عن تعلق هؤلاء بأرضهم حين قال: " ***والبربري متعلق*** **ببلاده وأرضه ولا يستطيع عليها صبرا ولا عنها ارتحالا، يخدم تلك الأرض الصعبة الجبلية بدون انقطاع**" فعليه إن تمسك الزواوي بأرضه وحبه لها هو ما دفعه إلى التفاني في خدمتها وغرس مختلف الأشجار المثمرة التي أضفت طابعا جماليا للمنطقة وصفها الرحالة الألماني هاينريش مالتسان بالمتميزة والفريدة من نوعها[3].

---

[1]- **قبائل المخزن** : هي القبائل المتحالفة مع السلطة و هي متمايزة في أصولها و أعراقها فمنهم من أغراهم الأتراك و منحوا لهم الأراضي لتكون سندا لهم ،هي قبائل معفاة من الضرائب و تتمتع بامتيازات اقتصادية و عسكرية ،ز تعمل على فرض الطاعة للأتراك . أنظر: نبيل بومولة : القوى المحلية في منطقة القبائل الشرقية في القرن 10ه- 16م بني عباس نموذجا ،أطروحة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث ، تحت إشراف الدكتور أرزقي شويتام ،الجزائر ،2009-2010 ،ص 80

[2]– أرزقي فراد، مرجع سابق، ص 40.

[3]– أحمد توفيق المدني : ***كتاب الجزائر*** ،المطبعة العربية، الجزائر،1931، ص 104.

[4] – **هاينريش فون مالتيسان** ، ***ثلاث سنوات في شمال إفريقيا*** ، ترجمة أبو العيد دودو ،(ش.و.ن.ت) الجزائر 1979، ص102.

الفصل الأول:

البنية الاجتماعية في بلاد الزواوة أواخر العهد العثماني

الفصل الأول

البنية الاجتماعية في بلاد الزواوة أواخر العهد العثماني

أولا: مفهوم العرف

- مكانة العرف في المجتمع الزواوي
- نماذج من القوانين العرفية

ثانيا : التنظيم المؤسساتي للمجتمع الزواوي :

- ثاجمعث "مجلس القرية ".
- مفهوم العرش و فدرالياته : (ثاقبيلت أو أذني لعراش) .
- مفهوم الصف و خصائصه .

ثالثا : القيم العرفية للمجتمع الزواوي :

- التضامن و مضاهره .
- الحماية " لعناية".
- ذهنية الثأر" ثيمقرط" .

رابعا : آليات تفعيل القيم العرفية :

- التطوع (ثيويزي)
- ثيمشرط (الذبح الجماعي).
- الحرب .

يعتبر العرف أقدم مصدر للقانون عرفه الإنسان عن طريق إتباع سلوك اجتماعي معين، دأب على تكراره لزمن طويل حتى صار عادة ملزمة للأفراد وذلك لتنظيم العلاقات الاجتماعية بينهم، ومع تطور الإنسان لم يعد العرف كافيا لتنظيم المجتمع، فلجأ الناس إلى التشريع كوسيلة لسند القوانين لتنظيم الأوضاع المستجدة، فصار مصدرًا أساسيا للقانون، ورغم ذلك لم يفقد العرف مكانه ضمن مصادر القانون، فهو يحتل المرتبة الثالثة بعد التشريع والفقه الإسلامي[1].

ولقد عرفه العلامة علي الجرجاني العرف بقوله: "***ما استقرت النفوس عليه بشهادة العقول وتلقته الطبائع بالقبول وهو حجة أيضا لكنه أسرع إلى الفهم، وكذا العادة ما استمر الناس عليه على حكم العقول وعادوا إليه مرة أخرى***"[2].

أما الدكتور عبد الله معصر فقد عرفه بقوله: ***لغة كل ما تعرفه النفس من الخير وتطمئن إليه وفي الإصلاح هو غلبة معنى من المعاني على جميع البلاد أو بعضها***"[3].

ويتفق فقهاء القانون على وصفه: "***بأنه سلوك اعتاد الناس كقاعدة اجتماعية لتنظيم الحياة عبر زمن طويل حتى صار قاعدة إلزامية لأفراد المجتمع***"[4]. إن العرف يتكون من عنصرين بارزين:

أ- العنصر المادي: ونعني به تكرار سلوك معين بانسجام مع الآداب العامة من أفراد المجتمع، فتسرع كقاعدة اجتماعية تحولت بعد زمن إلى قاعدة إلزامية، ونستخلص من ذلك أن هذا العنصر المادي يرتكز على شروط ثلاثة، التكرار، الانسجام مع النظام العام انقضاء مدة زمنية ليست بالقصيرة.

ب- العنصر المعنوي: والمقصود به هو شعور الناس بإلزامية إتباع القاعدة العرفية غير المكتوبة وهو إلزام يفرضونه على أنفسهم بإرادتهم الحرة، ويحرص المجتمع أيضا على

---

[1]- إبراهيم الخليلي حبيب: ***المدخل للعلوم القانونية***، ديوان، مطبوعات الجامعية، الجزائر، ط8، 2005، ص 142.

[2]- علي بن محمد الجرجاني: ***معجم التعريفات***، تحقيق م. صديقي المنشاوي، القاهرة، 2004، ص 125.

[3]- عبد الله معصر: ***تقريب معجم مصطلحات الفقه المالكي***، دار الكتب العلمية، بيروت، 2007، ص 93.

[4]- محمد الصغير بعلي: ***المدخل للعلوم القانونية***، دار العلوم للنشر والتوزيع، عنابة، 2006، ص 53.

استمرار القوانين العرفية عن طريق معاقبة المخالفين لها، كما كان الأمر في بلاد الزواوة خلال هذه الفترة المدروسة، وتجدر الإشارة إلى أن هناك فرقا جوهريا بين العرف والعادة فهذه الأخيرة لا تتوفر فيها إلى العنصر الأوّل، فهي متميزة بالتكرار، لكنها تفتقر إلى عنصر الإلزام مثلا: كاستعمال البارود والرّماية في الأعراس مثلاً، فرغم حضور هذه العادة بقوة في المجتمع التداوي إلاّ أن تاركها لا يعاقب، لذلك نجد القاضي يطبق العرف باعتباره قانون عرفيا، ولا تطبق العادة إلاّ باتفاق الطرفان وتصبح آنذاك إلزامية[1].

لقد تراجع العرف من حيث الأهمية بعد أن عجز عن مسايرة التطورات الهامة التي عرفتها المجتمعات البشرية لما يتميز به من بطء في تكوين القوانين العرفية وكونها قواعد شفوية، لذلك صار التشريع مصدرًا أساسيا للقانون ورغم ذلك فلقد ظل العرف محتفظا بمكانته المرموقة خاصة في مجال القانون الدولي العام الموصوف بكونه عرفا قانونيا بحكم استنباط قواعده من العرف، كما احتفظ بسمو مكانته في البلدان المعروفة بدساتيرها غير المكتوبة مثل بريطانية التي تستند دستورها للقوانين العرفية[2].

وهذا لا يزال العرف في كثير من الدوّل يؤدي دورًا تكميليا في المجالات المتميزة بغياب القوانين التشريعية ويلتجئ القاضي في هذه الحالة إلى سدّ فراغ التشريع بالرجوع إلى المجال العربي، ويستمد أهميته الاحتياطية من كونه قواعد متأصلة في دواخل، ومن جهة أخرى يؤدي العرف دور المساعد في تطبيق القوانين التشريعية في حالة افتقار نصوصها إلى الدقة أو لتغطية النقص المسجل في اتفاق المتعاقدين[3].

---

[1]– إبراهيم الخليلي حبيب: مرجع سابق، ص 146.

[2]– محمد الصّغير بعلي: مرجع سابق، ص 55.

[3]– علي علي منصور: **المدخل للعلوم القانونية والفقه الإسلامي**، ط1، الفتح، بيروت، 1966، ص 99.

أولا: مكانة العرف في المجتمع الزواوي:

1- تعريف العرف الزواوي: يستمد المجتمع الزواوي معظم نظمه القانونية والاجتماعية من العرف الذي أطلق عليه هانوتو *"القانون العرفي القبائلي"*، يعرف بالأمازيغية "ثاقولث" ومشتق من الاسم العام "إميزو"، معناه الميزان[1].

العادة أو العرف[2] الذي ينتقل من جيل إلى جيل بطريقة شفوية، ويسري على الأحوال الشخصية وعلى نقل الملكية وعلى شروط التعاقد. والعرف هو ما يحدث من تغيير في العادة، ولأنه منبثق من قانون القرية فهو لا يسري إلاَ في حدود التربية، وهو يعادل تقريبا مفهوم الممارسات المحلية[3].

وهو عبارة عن مجموعة من القواعد القانونية والاجتماعية، المتمثلة في نظام العقوبات والمغارم والفصل في النزاعات والقواعد الأساسية التي يبنى عليها التشريع[4].

ويتضمن أحكاما ردعية الشيء الذي يمكن الجماعة من فرض النظام والاحترام في القرية أ و القبيلة، فلا يسمح بالخطأ طالما أن القانون واضح، فيذلك يمثل مرجع هذه القوانين العرفية، الذي في غالبها يعتمد على التجربة والحكمة والعادة ،إضافة إلى الشريعة الإسلامية التي تمثل المرجع الرئيسي في هذا المجال[5].

---

[1]– **حسين الحاج مزهورة: الحالة المدنية: آلية من آليات الهيمنة الاستعمارية في الجزائر: حالة منطقة قبائل جرجرة من 1891 إلى 1962**، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، السنة الجامعية 2014–2015، جامعة الجزائر 2، ص: 15

[2]– العرف أقدم مصدر للقانون عرفه الإنسان، عن طريق إتباع سلوك اجتماعي معين، دأب على تكراره لزمن طويل حتى صار عادة ملزمة للأفراد لتنظيم العلاقات بينهم في المجتمع، ويعرفه الفقهاء، بأنه سلوك اعتاد الناس عليه كقاعدة اجتماعية لتنظيم الحياة، عبر زمن طويل، حتى صار قاعدة إلزامية لأفراد المجتمع. عن أ. أرزقي فراد:المجتمع الزواوي في ظل العرف... مرجع سابق، ص: 92

[3]– أ. هانوتو: **منطقة القبائل والأعراف القبائلية**، ترجمة، مخلوف عبد الحميد، ج 2، تيزي وزو، 2013صص: 139–138

[4]- DAUMAS : op.cit, p. 158.

[5]– مؤلف مجهول: **كيفية سيرة الزواوة** مخطوط تحت رقم 3012 ، المكتبة الوطنية الجزائر ، ورقة رقم 09 .

يتضمن العرف فصولا خاصة بالاستثناءات والحقوق وحوادث القتل وطبيعته والدفاع الشرعي والعلاقات والعقوبات وقانون السكن والغرم، حتى النفي والقتل والمصادرة وحماية الحرمات الدينية والملكية الشخصية وحصانة الجماعة وانتظامها[1]، نذكر بعضها:

- حالات الضرب ووسائله وكيفياته
- المشاجرات ووقائعها
- التهديد واستعمال السلاح وأدواته
- الأمن وسكينة الليل(الحرمات)
- السرقة للمأكول من الثمار والغلال والخضر
- ضرب المرأة للرجل أو الرجل للمرأة
- شجار النسوة
- آداب الكلام بين الجماعة وموانع عامة كالغناء والقول الجارح فلا كلام مباح إن لم يفتتح بالصلاة على النبي ويختم بالاستغفار
- رمي الحجر على الإناث أو على أولاد الغير
- الطلاق و الإرجاع
- رسوم على الأموات إناثا وعلى مستحقيها و رسوم على اليتيم
- الشهادة على الصداق والخطبة
- الوصية وتطبيقها
- سرقة المساجد
- الزواج من المحصنة غير المطلقة
- حماية الأشجار حربا وسلما
- حقوق الأرامل واليتامى و أموالهم وحق الطاعة
- مال القاتل و المقتول وحقوق الجماعة عند انعدام الوارث

---

(1) – أحمد ساحي: **زواوة من القرن 16 – 18 عهد الا مارة 1512 –1767**، رسالة ماجستير تحت اشراف مولاي بن حميسي، د–ت–ن، ص: 139.

– حماية الطريق وابن السبيل (أمن العبور) التجار والملكية العامة

– عدة الزوجة بعد اختفاء الزوج أو الطلاق من ست إلى سبع سنوات[1].

ويهدف العرف إلى تنظيم المنطقة وحل النزاعات، لا يمكن لأحد معارضته أو مخالفته أو تعديله أو تغييره أو المساس به، مهما كان الأمر، فهو بمثابة "*دستور المنطقة*"هذا الميثاق غير مكتوب، إنه قديم يعمل به منذ أكثر من ألفين (2000) سنة، وهذه بعض نماذج من القوانين الخاصة بزواوة:

أ: القانون المدني:

– يتمتع جميع الزواويين في القرى بنفس الحقوق المدنية بدون تمييز

– كل غريب مهما كان أصله يصبح من مواطني القرية إذا ما وافقت عليه ثاجمعت القرية لكن يشترط عليه دفع (أنكشوم) من دورو إلى عشرة دورو

– من يغادر قريته بنية عدم العودة إليها يدفع مابين خمسة إلى عشرة دورو[2].

ب: الزواج العرفي:

إن العرش العمراوي قد رسم العديد من القوانين، الخاصة بالعلاقات الزوجية: كمغادرة الزوجة لبيت زوجها بعد خصام وفي حالة غضب مثلا تعود إلى بيت أهلها وفي حالة رفضها للرجوع ورغبة والديها في طلاقها لا يتم ذلك إلا برضا الزوج، فإذا كان هذا الأخير هو المذنب يتوجب عليه تسريحها مع حصولها على مهرها وذلك بمقتضى العرف[3].

- المرأة الزواوية ليس لها شخصية قانونية تشتري وتسلم من دون طلب رأي زوجها
- من يقوم بتزويج امرأة بلغت سن يخول لها أن تستشار، يدفع غرامة خمسة ريال إذا ما قام بذلك من دون أن يأخذ برأيه

[1]– أحمد ساحي ، مرجع سابق، ص 140 .

[2]– مليكة سعدودي وحياة ردواني: **الاحتلال الفرنسي في منطقة القبائل: 1844 – 1857** ، مذكرة لنيل شهادة الليسانس في التاريخ المعاصر، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة مولود معمري تيزي وزو، 2014 – 2015 ، ص 17 .

[3]– أرزقي فراد: **المجتمع الزواوي** ...، مرجع سابق ، ص 287

- الفتاة العذراء لا تستشار أبدا والأرملة والمطلقة ليس لها حق التصرف في نفسها[1].

زيادة على ذلك نجد أن الشخص المتزوج سواء ذكر أو أنثى من اثنين فواجب عليه أن يدفع كرسم لزوجته دورو كضريبة،وإذا تزوجت المرأة إلى خارج عرشها فإنها تخضع لعرف قرية زوجها[2].

ت: الطلاق العرفي:

وما يميز المجتمع الزواوي انتشار ظاهرة الطلاق، لأن العرف يعطي للرجل الحرية المطلقة حيث يتصرف كما يشاء في زوجته ويطلقها متى يريد وبدون سبب، بل يفرض عليها القيود ويقرر ما يشاء في مستقبلها[3].ويعد العرف الزواوي أشد قسوة من كل التشريعات التي أعطت الرجل حقا أعلى من حق المرأة ، و نجد ذلك في الأمثلة التالية:

- الطلاق حكم على الرجل فقط دون حد وبدون سبب
- من يتزوج امرأة ثم يطلقها قبل أن يأخذها إلى بيته يدفع غرامة عشرة **ريال**
- من يستعيد زوجته بعدما طلقها يدفع غرامة ثلاثة **ريال**

يسمح للمرأة بالزواج مجددا إذا ما أرادت ذلك مقابل دفع المبلغ المحدد، بشرط أن يكون الزوج مقيدا وأن يقبل سعر استرجاع أقل من السعر الذي حدده هو نفسه، لكن لا يمكن أن يطالب بسعر أعلى منه.

يحدث أحيانا أن مبلغ الاسترجاع المحدد هو من الارتفاع إلى درجة أنه مؤكد مسبقا أن المرأة لن تجد زوجا أبدا. ويعني التطليق حينها منعا باتا من الزواج مجددا. وتكون المرأة في هذه الحالة، طبقا لتصورات القبائلية، موضوعة جانبا[4] وتسمى "ثمعوقث"[5].

---

[1]- هانوتو، لوتورنو : مرجع سابق، ص: 158

[2]- أرزقي فراد: مرجع سابق، ص 287

[3]- حسين الحاج مزهورة: مرجع سابق: ص: 245

[4]- هانوتو: نفسه، ص ص:178- 179

[5]- **ثمعوقث** مأخوذة من الكلمة العربية "عاق"

ث : ثعمامث أو ثوتشيث:

هي الصيغة العربية لكلمة "عمامة" شرط الزواج هو دفع ثمن يسمى ثعمامث أو ثوتشيث (الأكل من الفعل القبائلي "يتشا" "أكل")[1].

لم يحدد القانون العرفي القيمة المالية، وإنما للأب الحرية المطلقة بأن يطالب بالقيمة التي يريدها حسب جمال ومواهب ابنته. لذلك قررت بعض القبائل بالجهة الجنوبية لجرجرة تحديد القيمة المالية التي يدفعها الزوج، لأن هناك بعض الأولياء يطالبون بقيمة مفرطة. عند آث غوبري: *"عندما يتزوج رجل امرأة وتكون الفاتحة قد قرئت، ثم يموت أحد الزوجين قبل أن تنقل المرأة إلى بيت الزوجية، لا تكون ثعمامث واجبة"*[2].

يمكن أن تدفع حسب الشروط المتفق عليها إما دفعة واحدة قبل إتمام الزواج أو في أقساط تدفع في أوقات محددة.فيعتبرها هانوتو و لوتورنو مجرد صفقة تجارية تتم بين الزوج والولي.

- من يشتري ويمتنع بعد ذلك عن استعمالها يدفع غرامة أربع **ريال**
- من يتزوج امرأة ويرفض دفع ثعمامث يدفع بخمسين **ريال**
- من يزوج ابنته ويمتنع عن تسليمها يدفع عشرة **ريال** لمن كان سيتزوجها، ومن يشتري امرأة ويمتنع عن استلامها يدفع غرامة أربع **ريال**
- من يتزوج امرأة و يرفض دفع ثعمامث كليا أو جزيا يتوجب عليه تطليقها[3].

ومن بين أغرب الفتاوي تلك المتعلقة بحرمان المرأة من الميراث، والتي كانت في قرية ثاحمامث بعرش آث واسيف مطلع 1749والتي توسعت بعد ذلك إلى كافة بلاد زواوة[4].

---

[1] 288-حسين الحاج مزهورة: مرجع سابق، ص

[2]- المرجع نفسه: ص: 254

[3] كيسة بولجنت : مرجع سابق ص 75.

[4] أرزقي فراد: إطلالة على منطقة القبائل ، دار الأمل للنشر والطباعة للجزائر ، 2007 ، ص: 67

5- حق المرأة الزواوية في الميراث[1]:

رجح بعض المؤرخين أن بعض الظروف المعيشية القاسية كانت وراء صدور هذه الفتوة وهذا إن دل على شيء يدل على تغلب العرف على حساب الشريعة فخوف الأهالي الزواويين كان يقتصر على المعاناة التي تنتج بعد تجزئة الأرض بعد حصول المرأة على الميراث، وذلك بقدوم الأزواج الغرباء إلى قرى نسائهم لإقامة أو لاستغلال الأرض[2].

أما سي أعمر بوليفة فقد برر هذه الفتوة، بمبرر يحتمل النقاش مفاده أن إسبانيا عندما أطلقت صراح أسرى القبائل أثناء الحرب إثر اتفاقية 1767، عاد هؤلاء إلى قراهم ووجدوا المتزوجون من نسائهم أخذن الأرض و تزوجن من جديد و السبب وراء ذلك أن الأسرى يعدون من تعداد المفقودين لعدم إطلاق سراحهم و هذا ما استندت عليه نساء زواوة للحصول على الإرث و الزواج من جديد، فثار هؤلاء الأسرى فقتلوا من سلبوا منهم الأرض (أزواج نسائهم) وكل هذه الظروف أدت إلى عقد اجتماع ومراجعة هذه القوانين[3].

تمتنع النسوة في عرش عمراوة منعا باتا من ميراث أزواجهن وأهلهن وينحصر حقهن فيما يخص الإعالة واللباس فقط إلا أن يتزوجن و بالتالي تحصل المرأة بعد حرمانها من الميراث على تعويض معنوي وتعويض مادي كبير يتمثل في حماية الرجل لزوجته في السراء والضراء وفي حالة فشله تعود إلى بيت أهلها[4].

---

[1]-**تعريف الميراث اصطلاحا**: "بأنه خلافة المنتمي إلى الميت بنسب إلى سبب في ماله وحقه القابل للخلافة، ويمكن تعريف الميراث بأنه خلافة الحي للميت في ماله بحكم الشريعة الإسلامية، أو نصيب مقدر شرعًا من ميت لوارث. أو هو نصيب كل وارث من التركة: تعريف الميراث: www.sotor.com

[2] أرزقي فراد : مرجع سابق ، ص 68

[3] أبو يعلا الزواوي: مرجع سابق ، ص 129 .

أرزقي فراد ، إطلالة على ... مرجع سابق،ص 70 .

فحسب "هانوتو" و"لوتورنو "فالجماعة في هذه المنطقة قبلت ظاهريا ذلك النص من الشرع لكن عقلية القبائلي تنفر بأن تتصرف المرأة بالأرض لكونها لا تستطيع استغلالها والدفاع عنها "مما أدى إلى اتخاذ قرار منع المرأة من الميراث في الأرض[1].

نذكر نموذج آخر للعرف، قانون "إفليسن نلحبر" فهو الأخر لا تختلف كثيرا عن عرش عمراوة ، مثلا، عند وفاة المرأة، يحق لأولادها في التاركة، وإذا لم تخلف منهم فالتاركة تعود لأهلها.

أما الطلاق والنفقة فلقد قدرت هذه الأخيرة بخمس دورو للسنة الواحدة، واللافت للانتباه إذا مات الزوج وترك زوجته وبناته فإن نصيبهم ينحصر في المعيشة قبل الزواج بالنسبة للبنات، أما بالنسبة للأم تعيش مع أهله وفي حالة النزاع بين الأم وبناتها فيحصل الوارث على ثلث الغلة[2].

- لا يحق للمرأة أن ترث بعد أن تتزوج لكن لا يذهب ذلك الميراث إلى غريب
- من يقترح تخصيص جزء من الميراث للمرأة يدفع خمسين ريال كغرامة
- لا يقسم الميراث وفق الشرع الاسلامي
- ليس للمرأة الحق للميراث، لكن لهن الحق في الطعام واللباس من أملاك أبيها[3].

فالعرف في منطقة الزواوة أعلى سلطة لا يمكن أن تناقض إرادتها ولا يقبل الطعن في قراراتها، وهو في الغالب عرف محلي لأنه خاص بقرية واحدة وقبيلة واحدة، فكل عرف يناسب سكانها وأساس العرف اعتقاد الناس بسلوك معين في خصوص أمر من أمور حياتهم الاجتماعية، حيث تنشأ لديهم عادة نتيجة اتساعهم لهذا السلوك، فيسود الاعتقاد بإلزامية ذلك

---

[3] حمداني مالية: **ميراث المرأة القبائلية بين التحدي و الأعراف و الحاجة المادية** دراسة ميدانية في قرية ثيرميثين في مدينة ذراع بن خدة ، رسالة لنيل شهادة الماجستير تخصص علم الإجتماع الريفي ،تحت إشراف الدكتور شولي كلودين ،2009-2010

[2] أرزقي فراد ، مرجع سابق ، ص 264

[3] – أحمد ساحي : مرجع سابق،ص:

السلوك، وبواسطة هذا العرف يتم تنظيم الحياة بمنطقة الزواوة من خلال هياكل معينة تسهر على تطبيق تلك التنظيمات[1].

ثانيا- التنظيم المؤسساتي للمجتمع الزواوي:

يعتبر النظام الاجتماعي لمنطقة الزواوة من الأنظمة الأكثر ديمقراطية ومن أكثرها بساطة أيضا، بحيث ظلّ المجتمع الزواوي متمسكا بمبادئه كمبدأ التعاون القائم على التضامن وذلك في أبسط جزئيات الحياة الخاصة، كما في علاقات العائلة والقرية والقبيلة[2].

لا شك أن المؤسسات الأساسية التي بني عليها المجتمع الزواوي: أذروم (الخروبة) القرية وجمعية القرية والعرش والقبيلة:

1- أذروم أوالخروبة:

كلمة مأخوذة من الكلمة العربية خروبة والتي حولها القبائل إلى تخروبث وهي اسم دال على سنفة شجرة الخروب. وتتكون كلّ خروبة من عدد معين من العائلات، وهي عادة من أصل واحد وترتبط فيما بينها بعلاقة القرابة وتجتمع حولها في بعض الحالات عائلات غريبة عن البلد أو أفراد من نفس القرية لم يعد لهم أقارب[3].

2-(ثدارث):

في بلاد الزواوة تمثل القرية (ثادارت) وحدة عمرانية أساسية وتتمتع باستقلالية في تسيير شؤونها وذلك بواسطة تنظيم مجلس القرية ثاجمعت ويمكن تفسير هذه الخصوصية بغياب دولة مركزية في المنطقة تتكفل بشؤون السكان وبالعزلة المفروضة عليهم بحكم الطابع الجبلي لتضاريسها وظروفها المشابهة للجمهوريات اليونانية القديمة [4].

---

[1]- حسين آث ملويا: ***القانون العرفي الأمازيغي***، دار الخلدونية للنشر والتوزيع، الجزائر، 2007، ص ص 42- 47.

[2]- أ. هانوتو- لوتورتو: المرجع السابق، ص 06.

[3]- هانوتو، لوتورنو...، مرجع سابق، ص 06.

[4]- محمد أرزقي فراد، مرجع سابق، ص 94.

3- ثاجماعث (الجماعة)*:

تمثل الساعد الذي يقوم بتسيير كل شيء في القرية أو القبيلة، فهي السلطة الوحيدة والعليا صاحبة كلّ المبادرات التي تصب في مصلحة القرية[1]، حيث تلزم كلّ الأطراف بحدود ومبادئ عامة مستمدة من العرف تمارس من خلالها سلطتها على السكان من أجل ضمان استقرار الحياة بالمنطقة [2].

تتكون ثاجمعت من كلّ شخص بالغ سن الرّشد، حيث ينعقد اجتماعها مرة كل أسبوع ونادرًا مرة كلّ خمسة عشر يوما، سواء في الساحة العمومية للقرية أو في المكان الذي يوجد به سوق القرية وكلّ من يغيب عن الاجتماع دون مبرر يغرم بمبلغ مالي نتيجة غيابه واستهتاره بالجماعة [3].

وفي العادة تنظم الاجتماعات والكلّ جالس على الأرض ولا أحد يقف إلاّ عندما يأخذ الكلمة وهذا في الهواء الطلق إلا إذا كان الحر شديدا أو البرد القارس، فالاجتماع يكون في المسجد أو مكان مغطى، حيث تقرأ الفاتحة ويعلن عن افتتاح الجلسة وسبب الاجتماع.

أثناء هذا الاجتماع لا أحد يتحدث دونها السماح له عدا الرّجال ذوي المكانات وكبار العائلات والشيوخ وموظفي الجماعة، وحتى إن لم يكن هنالك قانون يتمتع غير هؤلاء من الكلام، فهم أنفسهم (الفلاحون البسطاء، الشبان حديثوا العهد والحرفيون) لا يملكون الجرأة للحديث وسط أولائك الحاضرين.

وفي العادة تكون الاجتماعات طويلة إلى حين الوصول للحلول المناسبة للقضايا المطروحة فإن تحدث شخص بشكل مخالف لقول الجماعة وأثار حفيظة المجتمعين فإن رئيس

---

* – **ثاجمعت:** هي مؤسسة أو جماعة يكون فيها اجتماع عام للموطنين فكل إنسان يبلغ سنّ الرشد هو عضوا فيها، وتجتمع مرّة كل أسبوع، وكل من يتغيب عنها دون سبب شرعي يتعرض لغرامة.

[1]– هانوتو، لوتورنو، مرجع سابق، ص 07.

[2]– أحمد ساجي، المرجع السابق، ص 132.

[3]– كيسة بولجنت: مرجع سابق، ص 68.

الاجتماع يوقفه ويأخذ الكلمة منه فإن واصل كلامه يغرم بمبلغ معين ومن أجل تنظيم مصالح السّكان يتم تعيين الأمين[1]:

أ- الأميـــــن (aqaru n ttadarth) :

يطلق عليه لدى القبائل اسم أمكسا Ameksa أي الرّاعي ولدى البعض " Aqaru n taddart" أو أمقران أنتدرث Amukan n taddart أي رئيس القرية، ويكمن دوره في الحفاظ على الأمن ومراقبة مصالح العامة وتلبية حاجياتهم والأمين مواطن عادي من القبيلة يختار من الأخلاق والعادات ويكون ذا مال ومنحدرًا من أسرة ذات نفوذ وذلك لاستقطاب أكبر عدد من السكان تحت كلمة سواء في السلم أو الحرب [2].

وكذلك على الأمين أن يقوم بتمويل الرّجال بما يحتاجونهم هم وعائلاتهم أثناء الحرب أما في فترة السلم، فهو يقوم بالإشراف على عقود البيع والشراء أو إيجار العقارات من أراضي ومساكن، بالإضافة لإعطاء إشارة انطلاق عملية الحرث أو جني الثمار كالتين والزيتون بعد معاينتها [3].

فمهامه لا تقف عند هذا الحد، فعليه السّهر على تطبيق القرارات المتخذة من طرف الجماعة عند عقد اجتماعها الذي يكون بالأصل هو من هيأ الأمور التي ستناقش فيها أعضاء الجماعة خصوصًا فيما يتعلق بتوظيف مال الخزينة فيما ينفع العامة، كترميم المساجد والعيون والطرق، فهو الذي يقوم بدراسة الأمور وتقييم الإمكانيات وبعد ذلك يدرجها في مواضيع المناقشة يوم الاجتماع [4].

وفي ذات السياق يقول صاحب كيفية سيرة الزواوة حول كيفية تطبيق الخطايا داخل المجتمع الزواوي: "... ***فلما يتموا المشورة يتقدموا الشيوخ المسنين من أهل الدشرة والمرابطين والطلبة ينطق الأمين بقول فصيح على أصحاب الخطية، واحدًا تلوى الآخر، فإذا جاوب***

---

[1]– كيسة بولجنت: مرجع سابق ، ص 69.

[2]– آث ملويا: القانون العرفي الأمازيغي ، مرجع سابق ، ص 66- 68.

[3]–آث ملويا: ص 66- 68.

[4]– المرجع نفسه، ص 68.

بالعنف فإنه تفرض عليه غرامة ريال أو ريالين وإذ زاد تزيد الخطيئة ويكون الأمين يتكلم وينظر في الشيوخ، ومن أجل إمكانية عمل هذا فإنه يعين الطّمان للقيام بذلك" [1].

ب- الطمـــــان[2]:

مفرده الطامن أو الضامن حسب بعض المصادر وهم مساعدوا أمين القبيلة، فهم مسؤولون أمامه عن كلّ ما يحدث في عشائرهم ويسهروا على فرض احترام النظام وتهيئة الأوضاع، وإذا لم يستطع شخص ما دفع غرامة ما دفعها الطامن عوضا عنه على أن يعوضه ذلك الشخص في وقت لاحق. [3]

وهم في هذه المهام مطيعون للأمين ومحاسبون منه على كل شاردة وواردة تحدث في القرية، فهم الذين يتهمون المخطئين وهم الذين يدافعون عن حقوق الناس بالإضافة إلى إمكانية تدخلهم عند الخلافات الصعبة بين الأباء والأبناء بشكل ودي وسببا لنهاية الخلاف خصوصًا إذا تعلق الأمر بالإرث[4].

هذا وقد أشار أوجين دوماس إلى أهمية الإسلام في تسيير شؤون القرية حين وصف سلطة شيوخ المرابطين بكونها سلطة مطلقة، خاصة من خلال مؤسسة الزاوية التي اعتبرها مؤسسة سياسية ومركز للقرار والأوامر، يخضع لها المجتمع خضوعًا تاما ونجاحها كان بالتكفل الكامل بقضايا المجتمع إلى درجة أنها قضت على الجوع والتشرد في بلاد الزواوة[5].

4- الأعراش:

هي وحدة اجتماعية تقليدية داخل المجتمع الزواوي، تتكون هي الأخرى من مجموعة قرى يجمعها النسب أحيانا والجغرافيا والمصالح أحيانا أخرى وينتسب سكانها للبعد الأوّل كعرش

---

[1]– مؤلف مجهول : سيرة الزواوة، ص 66.

[2]– **الطمان:** هم أعوان الأمين في كلّ تفاصيل مهامه ومن واجباتهم لإبداء الطاعة وهو مسؤولون أمامه بشأن ما يحدث في كلّ خروبة.

– هانوتو، لوتورنو: ج2، مرجع سابق، ص 34.

[3]– كايسة بولحنت، مرجع سابق، ص 72.

[4]– مؤلف مجهول، المصدر السابق، ص 07.

[5] – Eugène Daumas, « La Kabylie » préface Dénise Brahimi, Jean Paul, Editeur, P 33.

آث منجلات مثلا أو الجغرافيا (آث واسيف) أو لخاصية من خصائص الجغرافيا (آث إيراثن، أهل الأسود) ويتميز العرض بنسبيّة حدوده الخاضعة للتمدد وقد تتسع لتشمل قرية جديدة أو تضيق بضياع قرية من قراها وهذا لاعتبارات أمنية وسياسية. [1]

ويضيف محمد أرزقي فراد في ذات السّياق أن العرش له عدّة مهام على الرّغم من أنه ليس له جمعية عامة، والسبب هو انحصار اجتماعاته بين أعيان القرى فقط، ويشرف عليها أمين الأمناء، أما بالنسبة للاجتماعات تجتمع للضرورة، وذلك للتشاور في أمر إعلان الحرب وإقرار السّلم مع عرش آخر، أو لإنجاز مشاريع عامة كتأسيس الزوايا والأسواق الأسبوعية وكذلك صيانة اهتمامات أولياء الله الصّالحين بالإضافة إلى فتح الطّرقات بين القرى، ومن المهام أيضا يقوم العرش بحلّ الخلافات بين القرى.[2]

زيادة عن حلّ الخلافات يقوم العرش بإصدار بعض الفتاوى كما حدث لدى عرش آث واسيف سنة 1749 حينما اجتمع أعيان المنطقة في قرية "ثاحمامث" فأصدروا تلك الفتوى القاضية بمنع المرأة من ميراث العقار، ومن جهة أخرى تتكفل هيئة العرش بمنح الأمان (العناية) للمسافرين الذين يعبرون أراضيه.

كما يعد العرش أيضا بمثابة هوية لأبناءه المهاجرين خاصة نحو مدينة الجزائر ويخضع هؤلاء المهاجرون لطبيعة العلاقة بين السلطة المركزية وعرشهم فإن كانت العلاقة حسنة يحضون باستقبال حار، وإذ كانت متوترة قد يدفعون ثمن ذلك التوتر[3].

5- ثقبيلت (القبيلة) أو إذني لعراش:

وتجدر الإشارة أنه قد تجتمع عدة أعراش في إطار واحد أوسع (تحالف) تسمية تحالف الأعراش (ثاقبيلت أو إذني لعراش) هكذا يسمى باللّسان الزواوي، لكن هذا التحالف ليس له قاعدة عامة واجتماعات ظرفية نادرة تعقد لمواجهة خطر أجنبي داهم، كما حدث فترة الاحتلال الفرنسي، ولقد ذكر بعض الدّارسين كمثال: ثاقبيلت آث بطرون التي تجمع أعراش: آث

---

[1]– محمد أرزقي فراد، مرجع سابق، ص 99.

[2]– محمد ارزقي فراد، مرجع سابق ص 100.

[3]– هانوتو ، لوترونو، ص 50.

بوعكاش، آث واسيف، آث بوذرار، وآث يني، وثاقبيلت التي تتضمن أعراش: آث يراثن، آث بوشعيب، آث فراوسن وآث خليلي. [1]

6- الصف وخصائصه:

يعد مفهوم الصنف (الحلف) إحدى الخاصيات التي ميزت بلاد الزواوة في الماضي وهو مفهوم اجتماعي لده دلالة التعاضد من أجل الحماية، وهو أيضا شكل من أشكال التحالف في إيطار الثنائية على المستويين القرية والعرش (الصّنف الأعلى- الصنف الأدنى) (صف أوفلا، صف واد)، وأسست هذه الثنائية على أسس مختلفة.

قد تكون طبوغرافية الصّف الشرقي الصّف الغربي كما هو الشأن في عرش آث واسيف أو الصّف الأوسط، الصّف الأدنى لدى عرش آث بوذرار، أو على أساس الزعامة (صف الحاج بوجمعة، صف داعمر ناث عمارة) لدى عرش إيواضين بيد أن ذلك لا يمنع الأعضاء من تغيير صفهم عند الشعور بالوهن والضعف، وقد يحدث التغيير بفعل الرشوة وقد يتسع الصّف ليشمل أطرافا من قرية مجاورة أو في مجموعة من قرى.[2]

فلقد اعتبر هانوتو الصف ما هو إلاّ جمعية تعاون متبادل في الدّفاع وفي الهجوم وفي كلّ ظروف الحياة وهدفه يعبر عنه تعبيرًا دقيقا، فالقاعدة السائدة بين الأعضاء مبينة على مقولة: "***وِينِيكْ عَوْنِيثْ يظلم نغ مظلوم***"، ترجمتها "***ناصر أخاك ظلما أو مظلومًا***" فالمرء الذي ينتمي إلى صف، فذلك من أجل أن يجد من يساعده ويحميه عند الحاجة وأيضا لكي يمنح لنفسه الوسائل اللاّزمة لنيل من أعدائه، وعندما يعجز هذا الحزب عن تقديم العون اللاّزم يتحول المرء إلى حزب آخر.

إنّ الزواوي لا يرى أي حرج من عدم البقاء وفيا لصفه إذ ينتقل من صف إلى آخر بلا حياء إذا ما وجد في ذلك فائدة له، أو إذا ما قدر أنه سيجد حضا أوفر لإشباع أهوائه وأحقاده، وعليه فلا شيء أكثر تقلبا من الصّف القبائلي[3].

---

[1]- المرجع نفسه، ص 52.

[2]- هانوتو الوتورنو، مرجع سابق ص 11.

[3]-المرجع نفسه، ص 13- 14.

لقد اعتبر بعض المؤرخين أن مفهوم الصّف مناف لفكرتي الحق والعدالة، فكثيرًا ما تتحول مناوشة بسيطة بين شخصين ينتميان إلى صفين مختلفين إلى عراك بالأيدي وينتهي بالحرب بعد انتصار كل وصف لصاحبه.[1].

تعتبر الاغتيالات من الأساليب الخداعية المستعملة لتوجيه ضربات مرجحة للعدو ويُعد لها أعيان الصّف بإعداد مخطط للعملية وذلك بجمع الأموال الضرورية لتكليف القاتل بإنجاز المهمة، علما أن المجتمع الزواوي قد عرف وجود فئة من الناس تسترزق من ارتكاب جرائم القتل، وكان لهؤلاء مكان معروف في الأسواق الأسبوعية يقصدهم من أراد شراء خدامتهم [2].

أما بالنسبة للمهزومين فيفرون وعائلتهم من قرتيهم طالبين اللّجوء لدى أعضاء صفهم في قرية مجاورة حيث يستقبلون بالموسيقى وطلقات البارود ويختار كلّ منهم من العائلة التي ينزل عليها ضيفا وعندما يستتب الأمن من جديد تعود تلك العائلات محملة بالهدايا والزّاد تحسبا لواقعهم الجديد[3].

هذا ويتميز عادة زعيم الصّف بالشخصية القوية وهو صاحب مكانة عالية في بلاد الزواوة وذلك لسعة الصدر المتسمة بالدّهاء والحنكة، وحرصه على إنفاق ماله بسخاء عليهم كما يكافئ الأعضاء مقابل ذلك بالطاعة العمياء، ومن بين مهام هؤلاء الرؤساء هو الاستماع لشكاوي الناس وتقديم المشورة والدّعم لهم، كما أنهم يقومون بمراقبة الصّف الآخر المعادي خوفا من أية مفاجأة، لكن تبقى أهم وأصعب مهامهم هي الحفاظ على الانسجام بين أعضاء صفهم فكثيرًا ما تحدث خلافات دموية بين الخروبات تهدد بزوال الصّف أو مشاكل فيه حيث يجب عليهم إيجاد حلول لكل هذا [4].

وتجدر الإشارة أن المرابطون الأشراف هم الفئة الوحيدة التي ظلت خارج الصفوف وهذا حفاظًا على حيادهم النابع من دور الحكم الذي يؤدنه لتفعيل المصالحة وفض النزاعات بين المتخاصمين رغم رسوخ ظاهرة الصّف في بلاد الزواوة، إلى درجة أن صارت ميزة فاردة لها

---

[1]– محمد أرزقي فراد، مرجع سابق، ص 103.

[2]– المرجع نفسه، ص 104.

[3]– هانوتو، لوتورو، مرجع سابق، ص 16

[4]– المرجع نفسه، ص 17.

دون غيرها، فلقد أشار بعض الباحثين إلى وجود هذه الذهنية العرفية في العديد من بقاع العالم كحزبي البيض والسّود في الجمهوريات الإيطالية قديما والقيسة واليمنية عند العرب [1].

ثالثا: قيم المجتمع الزواوي:

1- ثيويزي أو تضامن:

لاشك للعرف العديد من القيم ومن بينها التضامن أو ثويزي، فهذا الأخير لديه قيمة أساسية في نظام الجماعة (ثاجمعت) إلى درجة أن صارت أشكال التعاون واجبا مكرسا في القوانين العرفية، وبحكم تأصل هذا المبدأ زالت الفوارق الاجتماعية الظاهرية المعبرة عن الطبقية كاللّباس والتربية والعمران والغذاء، فكلها مجالات موحدة بين أهلي القرية، كما انخفضت الشحاذة إلى حدها الأدنى وصارت حالات معزولة وفي هذه الحالة فإن التساؤل لا يرد عن أعقابه، وأكثر من ذلك فإن تواريخ جني الثمار والزيتون تحددها الجماعة ويتم ذلك في مواعيد معلومة يعلن عنها براح القرية، حتى يعم الفرح أهل القرية جميعهم وتتحول هذه المناسبات إلى أعياد تبعث السّرور في النفوس[2].

نظرًا للفقر المدقع السائد في معظم القرى فإن الذبح قصد استهلاك اللّحم قد صار شأنا من شؤون مجلس القرية الذي يحدد مناسبات الذبح (لوزيعة أو ثيمشرط) بكيفية تصادف المواسم الفلاحية والدينية المختلفة، أما العائلة التي ترغب في ذبح رأس من مشاتيها لسبب ولآخر، فإن القانون يلزمها بإشعار أمين القرية ليقوم بإحصاء المرضى والنساء الحوامل والعجزة حتى تسلم لهم حصتهم من اللّحم مجانا[3].

هذا ويشمل التضامن جميع فئات الأعمار وخاصة اليتامى والمسنين والعجزة وكذا مجالات العمل من فلاحة ورعي وبناء، التي تتم في إطار التطوع "ثيويزي"، فجلب أخشاب سقوف المنازل من الغابة يتم مجانًا، ويعد أيضًا جلب حجر معصرة الزيتون شأنا من شؤون القرية وواجبها على كلّ أهلها، وهناك فرع آخر من التعاون يخص الأفراد يسمى "أَمْدْوَلْ" ومعناه

---

[1]– هانوتو، لوتورو، مرجع سابق، ص: 17

[2] – Ernest Reman : La société Berbère, Revu des deux monde 1873, article paru dans l'Algérie 1830-1962, Maisonneuve et Larousse/ Valmont, 1999, P 278.

[3] – Ernest Reman, Op.cit, P 278.

أن يتعاضد شخصان في خدمة حقولهم بالتناوب، وإذا حدث أن هلك فجأة ثور أو بقرة أو كبش لأحد القرويين في حادث ما فإنه يتصل بأمين القرية الذي يتول تقدير ثمنه ويقسم لحمه إلى أسهم مدفوعة الثمن توزع على أهل القرية وتسمى هذه العملية "ثامعيونت" أي التعاون[1].

ومن مظاهر الإحسان والتضامن الأخرى أن جرت العادة في بعض القرى أن يخصص الموسرون بعض أشجار التين للفقراء ولأبناء السبيل للأكل في عين المكان، لكن دون حمل الثمار إلى منازلهم وأحيانا يسمح لهم بذلك، ويحظى الفقراء بمعاملة خاصة عند إعداد الطّعام في مناسبات الأفراح، كما يأخذون حصصهم من الذبح (لوزيعة– ثيمشرط) بالمجان وكثيرا ما تؤجر أملاك القرية من زيتون وتين للعائلات المعوزة بشروط ميسرة مع استفادتها من مواعد أهل القرية في إطار التطوع للحرث والبذر والحصاد وجمع الزيتون، هذا وقد يلجأ أحيانا أهل القرية كآخر حل إلى جميع التبرعات لفائدة المعوزين، ويتكفل مجلس القرية بدفن الفقراء مع إلزام جميع السكان بحضور مراسم الدفن كغيرهم من السكان[2].

إن سكان الزواوة لم يخترعوا قيمة التضامن المعروفة في العالم قاطبة لكنهم تميزوا بتقنينها وجعلها بنودًا هامة في قوانينهم العرفية، وعليه فلم يبقى التضامن محصورا في دائرة الأخلاق فقط بل جعلوه واجبا بقوة القانون، ويعد ذلك ميزة هامة في القوانين العرفية الزواوية التي قننت حتى الأخلاق ويستخلص مما ذكر أنّ الضيافة قد تحولت في بلاد الزواوة بفعل غياب الفنادق إلى عبء عمومي يتكفل به القرويون[3].

2- ثيمشرط أو لوزيعة (الذبح):

يعتبر الذّبح **(لوزيعة أو ثيمشرط)** من أهم الآليات أيضا بحيث تذبح الأنعام ويوزع اللّحم على الأفراد، فمن المعلوم أن مستوى المعيشة لسكان الجبال كان ضعيفا، بسبب فقر التربة وعدم صلاحيتها لزراعة الحبوب، لذلك كان الغني هو من يصدر على تناول وجبة الكسكسي المصنوع من القمح مرتين في الأسبوع، أما الأغلبية الساحقة من السكان فكان غذاؤهم ينحصر

---

[1]– محمد أرزقي فراد، مرجع سابق، ص 106.

[2]–المرجع نفسه، ص، 107.

[3] – Ernest Reman, Op.cit, P 286.

في الكسكسي والخبر المصنوعين من الشعير في أحين الأحوال، فالشفيع لهؤلاء البؤساء القرويين ذاك التآزر الاجتماعي الذي يقضي بذبح المواشي والأبقار في مناسبات عديدة يمكنهم من أكل اللّحم مجانا، لأن أعباءها المالية تتحملها خزينة القرية وتسمى هذه العادة ثيمشرط [1].

وبالنسبة لتمويل الذّبح فمصادرها متعددة منها خزينة القرية وعائداتها المختلفة على حسب محمد أرزقي فراد، فهي تكون بمحض إرادة الزواويين أو بطلب من مجلس القرية، فإذا كانت عينية تباع المواد المتبرع بها، ثمّ يضاف مبلغها إلى القيمة المالية المتوفرة وتكليف المجلس جماعية معينة لشراء مواش أو بقر للنحر وفي هذه الحالة يوزع اللّحم مجانا على أهل القرية. أما إذا كان مبلغ التبرعات ومال خزينة القرية أقل من ثمن شراء الأغنام تتحمل العائلات الفارق مع إعطاء الأرامل واليتامى والعجزة من الدفع ويتكفل مسؤولي الحارات (طمّان) بجمع هذه المبالغ في أجل مفتوح[2].

وعندما يعين وقت الذبح يتجند الجميع للمشاركة في الذّبح والسّلخ تقطيع اللّحم كلّ حسب كفاءته ثم ينزوي أعيان القرية (طمّان) في مكان معيّن لتحديد عدد الأسهم حسب عدد العائلات ويكلف كلّ مسؤول حارة طامن بتحديد عدد أسهم حارته، أما الأطفال مكلفون بجلب أغصان الشجيرات لوضع لحم الأسهم عليها، وبعد إتمام عملية تقطيع اللّحم توزع الأسهم على العائلات حارة بحارة، وعائلة تلوى الأخرى [3].

في بعض القرى يتم التقسيم وفق مساهمة كلّ طرف، ومن يكون معفى من المساهمة ليس له حق الاستفادة من التقسيم، اللّهم إذا إرتأت ثجماعث غير ذلك ولا يوجد غير أنواع قليلة من عمليات ثيمشرط التي تخلوا من نصيب خاص بالفقراء، وفي بعض القرى يقسم اللّحم إلى نصفين متساويين نصف يوزع على رجال القرية، والنصف الآخر على النساء والأطفال، وإلى جانب ثمشراط المعتادة هناك نوع آخر الذي يسمى ثيمشراط ڤذريمن (ثمشراط المال)، هنا يقدم

---

[1]- Camille Lacoste Dujardin : Dictionnaire de la culture berbère en Kabylie, Edition la découverte, Paris, 2005, P 311.

[2]– محمد أرزقي فراد: **أزفون ثقافة وتاريخ**، دار الأمل، تيزي وزو، 2007، ص 250.

[3]– نفسه، ص 250.

الأفراد إسهامات نقدية ويشترون بها حيوانا واحد أو أكثر ويتقاسمون اللّحم بعد ذلك، كل واحد تبعًا لمقدر مساهمته [1].

3- لعناية:

ومن بين القيم أيضا في بلاد الزواوة نجد "العناية" أو الحماية فيعد مفهوم هذه الأخيرة قيمة أخلاقية صارت بفعل غياب الدولة أداة أساسية بقيمة التضامن في تنظيم المجتمع الزواوي وضمان استقراره، وهي عبارة عن حماية يمنحها فرد أو قرية أو عرش أو لجماعة للتنقل في حيز جغرافي معين وبأمان، ولا يستفيد منها المعتدي الذي ارتكب جريمة ما وإذا حدث أن استفاد منها ترفع الضحية شكواها إلى مجلس قرية المانع للحماية لتتولى أمر عقابه وتؤدي لعناية دورًا بارزا في توفير الأمن والأمان للمسافرين والتجار، بل وحتى لتنتقل القوات العثمانية عبر أراضي الزواوة دون أن يتعرض لهم أحد بسوء، وتكرست بقوة القانون العرفي الذي يعاقب كلّ من يخرقها لأن خرقها هو إضعاف المجتمع واعتبارًا لمبدأ التضامن السائد في المجتمع فإن الجماعة العائلة والقرية والعرش تصبح وجوبا وملزمة بالدّفاع عن العناية التي يمنحها أحد أفرادها [2].

ونظرًا لأهمية العناية وما ينجر عنها من مسؤوليات كبيرة وخطيرة فلقد وصفها الشاعر الكبير "يوسف أوقاسي الجنادي" بكونها بركان من النار يقيم فيه العز، فلقد حدث أن منح هذا الشاعر الحماية لبعض تجار عرش آث وغليس (من بجاية) لمرور في طريقهم إلى مدينة الجزائر لبيع الزيت.

---

[1]– الحسن الورثيلاني: **نزهة الأنظار**، تحقيق محمد بن أبي شنب، مطبعة بيير وفون تانة، الجزائر، ص 08.

[2]– محمد أرزقي فراد، مرجع سابق، ص 108.

– **العناية:** في معناها الشائع تشير إلى الحماية التي يمنحها أحد الخواص أوصف، أو قرية، أو قبيلة لفرد أو للعديد من الأفراد، كلمة عناية مأخوذة من كلمة عنى بالعربية ومعناها لإيلاء أهمية كبيرة ومن هنا جاء تمديد معنى الكلمة ليشمل معنى الحماية. أنظر، هانوتو، ص 42.

وعندما وصلوا إلى قرية تامدة مقر عائلة آث أوقاسي الشهيرة اعتدى عليهم بن أعي أوقاسي واغتصبوا (أخذوا) كلّ الزيت وعلى إثره عقد اجتماع طارئ لعرشه وأعلنت الحرب على عرش عمراوة[1].

لكن رغم كلّ ما سبق وذكرناه فلا تملك العناية نفس القيمة في جميع المجالات، وتتوقف قيمة (العناية ما) في واقع الأمر على قيمة صاحبها، ففعاليتها مرتبطة بمدى تأثير الرّجل الذي يمنحها بالوسائل التي يملكها لفرض احترامها[2].

لكن مهما يكن الأمر فلا يمكن أن ننزع عن مؤسسة لعناية طابع الجلال، فهي شكل أصيل من المساعدة المتبادلة مدفوعة إلى حد التضحية بالنفس وما تقتضيه من أعمال بطولية ترفع من شرف المجتمع الزواوي، فإن الضرورة التي تدفع إلى مثل هذا التفافي في حدّ ذاته علامة تدل على وضع اجتماعي محدود التقدم ووضع يكون فيه الفرد مضطرًا لحلول محل القانون لحماية الأشخاص[3].

وهناك أيضا العناية الإرادية التي يمنحها الحامي دون أن يطلبها المستفيد، كأن يلقى القبض على العدو فيصبح مهددا بالموت، ففي هذه الحالة يستطيع أي محارب أن ينقذ حياته، بأن يلقي عليه برنوسه، فيصبح مشمولا بحمايته، وهناك لعناية ظرفية يتوجب على كلّ فرد أن يؤديها عندما يصادف في الطريق شخصًا مهددًا بالخطر ولو كان أجنبيا تسمى ***"لعناية توقنيتس"***[4].

هذا وتمارس "لعناية" أيضا في الظروف العادية عند يتخاصم شخصين فيتدخل شخص آخر للفصل بينهما عارضا لعنايته، وفي حال فرقها يتعرض المتخاصمان إلى عقوبة يفرضها مجلس الجماعة، أما إذا استعمل الحامي القوة لفرض لعنايته عليهما فإنه يصبح محل عقاب أسوة المتخاصمين، وتسمى لعناية في هذه الحالة حماية السلم[5].

---

[1]– محمد أرزقي فراد، مرجع سابق، ص 109.

[2]– هانوتو، لوتورنو، مرجع سابق، ص 64.

[3]– المرجع نفسه، ص 64.

[4]– أرزقي فراد، مرجع سابق، ص 110.

[5]– المرجع نفسه، ص 110.

وتجدر الإشارة إلى أن خرق لعناية هو أشد إهانة يمكن أن توجد لأي زواوي (قبائلي) والرّجل الذي ينتهك أو يكسر وفق التعبير المكرس بهذا الصّدد، عناية منحتها قريته أو قبيلته يعاقب بالموت وبمصادرة جميع أملاكه وتدمير منزله. وتاريخ الزواوة حافل بحروب آثارها خرق العناية، فا نقدم مثالاً على ذلك في نهاية القرن الثامن عشر أعطى يوسف أوقاسي[1] عناية لتجار زيت من آيت أوغليس، وحين وصلوا إلى تامدة الواقعة في أراضي عمراوة تعرض هؤلاء التجار إلى السطو من طرف ابن علي نايت قاسي المنتمي لقبلية آث أوقاسي القوية ودفع ذلك بالشاعر إلى عقد اجتماع عام لمختلف قبائل الاتحادية بعدها قرأ سكان آث جناد الفاتحة وأرسلوا من يعلن الحرب على آث عمراوة، وقد بدأت الأعمال الحربيّة في اليوم التالي ولم تتوقف إلاّ بعد أن أعاد بن علي ما سرقه[2].

لكن رغم كل ما ذكرناه، فلا تملك لعناية نفس القيمة في جميع الحالات، وتتوقف قيمة لعناية ما في واقع الأمر على قيمة صاحبها ففعاليتها مرتبطة بمدى تأثير الرّجل الذي يمنحها وبالوسائل التي يملكها لفرض احترامها، لكن مهما يكن الأمر فلا يمكن أن ننزع عن مؤسسة لعناية طابع الجلال، فهي شكل أصيل من المساعدة المتبادلة مدفوعة إلى حدّ التضحية بالنفس وما تقتضيه من أعمال بطولية ترفع من شرف الشعب الزواوي[3].

4- ثامقرط (الثأر أو الرقبة):

كما نجد أيضا إلى جانب العناية قيمة أخرى تتجلى في ذهنية الثأر، فلقد ترسخت هذه العادة داخل المجتمع الزواوي إلى درجة أنها صارت إحدى مميزاته المكرسة في قوانينه العرفية، وتسمى باللّسان المحلي "**ثامڤرط**" أي الرقبة وتخضع لمبدأ "العين بالعين والسن بالسن" الذي *يستوجب "غسل الدّم بالدم" "سيزد إزامن سيزامن"*، ذلك سميت جريمة القتل: "أرطال" أي القرض الذي يظل قائما إلى أن يتمكن أهل القتيل من الأخذ بالثأر [4].

---

[1] - شاعر من قبيلة أث جناد من مواليد 1680

[2]– هانوتو لوتورنو : مرجع سابق، ج2، ص 63

[3]– المرجع نفسه، ص 64.

[4]– محمد أرزقي فراد: مرجع سابق، ص 110.

إنّ القانون العرفي الزواوي لا يرى فضاضة في قتل فرد من أفراد أسرة القاتل يختاره كبير عائلة الضحية، على أن يكون من حيث الأهمية الاجتماعية في حجم الضحية المقتولة أو أكثر ثمّ يتولى لشخص مشهود له بالشجاعة أمر تصفيته، عند ذلك يسترد القرض، وهذا ولم يترك العرف إلاّ مكانا ضيقا لمبدأ دفع **الدّية**[1] المنصوص عليها شرعًا وتجدر الإشارة إلى أن عملية الانتقام لا تتم أبدًا في الأسواق أو بحضور النّساء لأن ذلك يعد بمنطق العرف الزواوي عارًا يلوث شرف الفاعل، وتقتضي تقاليد الثأر استيلاء القاتل على برنوس ضحيته.

تبرز صرامة تطبيق مبدأ الثأر (الرقبة) في المناطق الجبلية المعزولة، فإن قتل المرابط والأجنبي والمستأمن والشروع في إطلاق النار على الخصم قبل إعلام الحرب، وقتل شخص برصاصة طائشة تعد كلها حالات يشملها مبدأ الرقبة (الثأر)، كما يعتر الإجهاض أيضا جريمة تستوجب هي الأخرى رقبة، فإذا أجهضت المرأة في بيت زوجها دون علم هذا الأخير فإنها تقتل، أما إذا أجهضت داخل بيت أهلها فإنهم ملزمون بالرقبة إذا كان الجنين ذكرًا وبالديّة إذا كانت أنثى وهذا حسب عرف أهل سبخة، أما عند آث كافي فإن المرأة تعفى من المسؤولية في الحالتين ويتحمل أهلها وزوجها وزرهما[2].

ومن ميزات الثأر أنه لا يسقط بالتقادم، فقد يظل معلقا لسنوات عديدة انتظارًا للفرصة المناسبة ويمارسها أحد أفراد المقتول إما مباشرة أو عن طريق تكليف قاتل مأجور بتصفية الخصم مقابل مبلغ مالي معلوم يوضع لدى طرف ثالث، وإذا ترك المقتول طفلا صغيرًا فإنه الأم تسهر على شحن ابنها بذهنية الثأر وعليه فإن أول ما يبادر إلى ذهنه عندما يصل إلى سن الرّشد هو الانتقام لوالده، أما إذا عقب المقتول أنثى فقد تتنازل الأم عن طلب المهر عند تزويج ابنتها مقابل أن يثأر الخاطب لزوجها المقتول، وقد تنتقل الرقبة إلى العائلة الواسعة في حالة انعدام خلف مباشر[3].

---

[1] - **الدّية:** اصطلاحًا: ما يعطى عوضا عن دم القتيل إلى وليه

[2]–محمد أرزقي فراد: مرجع سابق، ص 111.

[3]– المرجع نفسه، ص 112.

لنا أن نبرز نموذجًا من الواقع لذهنية الثأر وذلك ما حدث بين قرية آث لربعا بآث يني وقرية ثاوريرث عبد الله (إواضين) من تشاحن وبغضاء لسنوات عديدة، ومفاد ذلك أن شخص من قرية آث لربعا يدعى أعراب ناث ضيف الله ينتمي إلى أسرة قوية قد ضايق أم شخص يدعى ناث بلقاسم بإثارة إشاعات معرضة حولها بل وأكثر من ذلك صار يعاكس نساء عائلة هذا الأخير ويستفز رجالها برمي الحجارة فوق سقف منزلهم دون أن يتمكن مجلس القرية من وضع حدٍ لهذه الاستفزازات، وعلى إثر ذلك إنتقام سعيد ناث بلقاسم لأمه بقتل خصمه أعراب ناث ضيف الله وفر بعد ذلك لقرية ثاوريرث ومكث بها عشر سنوات إلى غاية الإطاحة به من قبل عمر أمزيان وقاسي وذلك بعد أن نصبوا له كمينا، فنشأت بعد ذلك أحقاد أخرى بين قريتي هاتين الشخصيتين[1].

لاشك أن توارث قضية الثأر في المجتمع الزواوي عبر أجيال عديدة قد أدى إل زرع البغضاء والخراب في المجتمع إذ صار نصب الكمائن للخصوم ومخادعة الأعداء ، فصار الهروب إلى المنفى وطلب الحماية من لدن قرية أخرى أو عرش آخر أمورًا جارية في المجتمع الزواوي، وعلى العموم فلقد أثرت القيم الإسلامية على العقول بمر الأيام وضيقت الخناق على ذهنية الانتقام والثأر والتي أوردت المجتمع موارد البوار وأضرت بالعلاقات بين الناس في القرى والأعراش وسئموا من لعنة هدر الدّماء التي عكرت صفو حياتهم وأبدوا شيئًا فشيئًا استعدادهم للعفو والصّفح، واشتغل المرابطون ذلك من أجل نشر ثقافة التسامح فأعادوا الاستقرار إلى القرى والطمأنينة للنفوس.

وجرت العادة أن تعقد جلسات الصلح تحت إشراف المرابطين الذين يبذلون قصارى جهودهم لتحضير الأجواء وإعداد النفوس من أجل إنجاح الصّلح بين العائلة والجاني الذي قتل من غير عمد ويحمل هذا الأخير معه قطعة قماش كرمز لاستعداده لقبول الموت ثمّ يقدم اعتذاره لعائلة الفقيد وعلى إثر ذلك تعلن عائلة الفقيد عفوها له في جوي يسوده البكاء وأدعية المرابطين التي تملأ النفوس خشوعًا، ثمّ يعد القاتل مأدبة غذاء على شرف المرابطين [2].

---

[1]–محمد أرزقي فراد: مرجع سابق ، ص ص 111– 112.

[2]– المرجع نفسه، ص ص: 114.

5- تراد (الحرب):

زيادة على ما سبق نجد آلية هي الأخرى تعتبر مظهرًا من مظاهر الحياة القروية ألا وهي تراد أو الحرب التي تندلع لأبسط الأسباب ويعود ذلك لغياب سلطة مركزية رادعة. فخرق الحماية (لعناية) والخلافات الشخصية كانت تؤدي باستمرار إلى اندلاع الحرب دفاعًا عن الشرف وكان مجالها في هذه الحالة محدودًا من حيث الرقعة الجغرافية والمدّة الزمنية وتكون أثارها ضعيفة تزول تداعياتها بمجرد وقف القتال، ويخوض المحاربون غمارها بدون أحقاد وبدافع التضامن مع القرية أو الصف بالنظر إلى كثرة هذا النوع من الحروب، فلقد صار مظهرًا من مظاهر الحياة اليومية [1].

ولقد أضاف هانوتو في ذات السياق عن الحرب أن المجتمع الزواوي يتعين على كلّ فرد قادر على حمل السلاح الدّفاع عن بلده، فالخدمة العسكرية واجب مقدس في عيون الزواويين ومن يريد التهرب منه لضعف همته يتحول إلى أضحوكة ويضطر إلى المغادرة تحت تأثير الاستنكار الجماعي، فالحروب عامة كانت ضدّ القوات الأجنبية الغازية بهدف الدّفاع عن الأرض والعقيدة الإسلامية كالحرب ضد الاحتلال الإسباني والاحتلال الفرنسي، كما كان الأمر ضد الأتراك أو حينما تتعرض الاتحادية للهجوم من قبل قبائل الخارج ينبغي على الجميع حمل السلاح قبائليين أو مرابطين كانوا... [2].

ومن خصائص الحروب الأهلية التي تندلع بين القرى والقبائل بقاء فئة المرابطين خارج مجالها، ملتزمين الحياد التام، وليست هذه الوضعية امتيازا يضمن لهم مصالحهم الشخصية فقط، بل تستفيد منه الأطراف المتحاربة أيضا، التي تحتاج إلى طرف محايد الذي يقوم بدور المصالحة وتوقيف الحرب، ومن ميزات الحروب الأهلية في بلاد الزواوة خلال هذه الفترة المدروسة أنها لا تندلع إلاّ بعد إشعار الخصم وإعلان الحرب وبعبارة أخرى فهي ليست خدعة وجرت العادة في حال السلم أن تتبادل الأطراف المتحاربة سلاحين إيذانا بإحلال السلم محل

---

[1]- مؤلف مجهول: **سيرة الزواوة**، ورقة 12.

[2]- هانوتو لوتورنو: مرجع سابق، ص 77.

الحرب ويسمى هذا السلاح "أمزراق" أي الرّمح لذلك فإن إعادة هذا السّلاح لأهله يعتبر بمثابة إعلان للحرب [1].

ما يشهد عليه في المجتمع الزواوي عندما تلوح بوادر الحرب في الأفق يتجند الجميع من أجل رصد الصفوف فتتوقف الخلافات الشخصية، وتلاشت قليلا القضايا المتعلقة بالثأر والانتقام بحيث تؤجل الأسفار، أما من حيث الذخيرة وشراء الأسلحة يتكيف بها مجلس القرية كما يقومون أيضا بأعمال تحصين القرية مع تعيين مواقع الحراسة والفرق المكلفة بالسهم والتداول عليها، وتخزن المواد الغذائية تحسبا لذلك الحصار، أما بالنسبة لأمين القرية جمعية مسؤولي الحارات (الطمان) على تنظيم إجراءات الاستعداد، ويتم في هذا السياق تعيين مسؤول على كلّ مركز للحراسة وتسلط عقوبات صارمة على المتهاونين في أداء واجبهم، وبالنسبة للأشخاص المعفين من الحراسة فإنهم يواصلون أداء أعمالهم العادية على أن يكونوا على أهبة الاستعداد لتلبية نداء الاستنفار (البراح) [2].

ولا يخفى أيضا أن للمرأة الزواوية دور في هذه الحروب الأهلية، فهي تشارك في إعداد الذّخيرة والمؤوى، كما تعمل على رفع من معنويات المحاربين بالأشعار والزغاريد. كما أن أهل الزواوة يحترمون مبدأ الهدنة أثناء الحرب لأسباب عديدة كدفن الموتى أو لإقامة طفل عائلي عادي مبرمج، أو لأسباب أخرى ويمكن للمحاربين في هذه الأثناء أن يعودوا إلى أشغالهم العادية في كلّ مكان، إذ يمكنهم الدخول حتى إلى قرية خصومهم دون أن يتعرض لهم أحد بالأذى شريطة عدم حمل السلاح، أما غنائم البحر فتعود عموما للمحارب الذي استولى عليها [3].

تمكن المجتمع الزواوي من ضمان الحد الأدنى من الاستقرار لأفراده بفضل الثقافة العرفية التي نبعت من الجغرافيا المحلية والمكرسة بالقيم الإنسانية المبنية على احترام كرامة الإنسان، ولقد شكلت القرية خلية أساسية في التنظيم العمراني وتجلى ذلك بوضوح في القوانين

---

[1]– هانوتو ولوتورنو: مرجع سابق، ص 71-72.

[2]– محمد أرزقي فراد: مرجع سابق ، ص 120.

[3]– محمد أرزقي فراد: مرجع سابق، ص ص 120- 121.

العرفية، التي أخذت بعين الاعتبار خصوصية كلّ قرية، وتحالفت القرى التي يجمعها الجوار في شكل العرش الذي يشبه البلدية في عصرنا وهناك تحالف أكبر أذني لعراش الذي يجمع الأعراش المتجاورة وهو مشابه لتنظيم الدّائرة في مجال التنظيم الإداري الرّاهن، ولعل أبرز القيم العرفية التي سادت في هذا المجتمع مبدأ التضامن بشتى مظاهرة ودلالته الواسعة في جميع مجالات الحياة في السراء والضراء ولقد استفاد منه حتى الغرباء أثناء تواجدهم خارج قراهم لقضاء الحاجة، ولقد أحاط العرف للأمن بحيث كرّس مبدأ الحماية (العناية) من أجل توفير الأمن للمسافر، يمنحه الفرد أو الجماعة لشخص ما أو جماعة معينة غير العرف ليس كله خير، ففيه جوانب سلبية أقضت مضاجع الناس كذهنية الثأر التي تقضي بقتل القاتل والمتعدي على الحرمات، وقد تجسدت هذه الذهنية العرفية في عدة فعاليات كالتطوع (ثيويزي) والذبح الجماعي (ثيمشرط، لوزيعة) والحروب المزمنة الهادفة إلى إعادة الاعتبار للشرف فقط، ولم تكن تهدف إلى التوسع.

الفصل الثاني:

علاقة سكان المحليين مع الإدارة المركزية

بعد دخول العثمانيين إلى منطقة القبائل اعتمدوا بالدرجة الأولى على الزعامات الدينية والمتمثلة في الزوايا والمرابطين كوساطة بينهم وبين الأهالي نظرًا لما يتمتعون به من نفوذ وكلمة مسموعة في المناطق الجبلية، حتى أصبحت الوسيلة ميَزت السياسة العثمانية في المنطقة.

أولا: دور ومكانة المرابطون في المجتمع الزواوي:

1- أصول المرابطين:

المرابطين فئة عرقية مشكلة من عدة عناصر، إذ نجد فيهم الشرفاء الذين ينحدرون من دولة الأدارسة الشريفة التي أسسها إدريس بن عبد الله الذي هو بدوره من سلالة علي بن أبي طالب وفاطمة الزهراء بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم، أما البعض الآخر ينحدرون من الدولة المرابطية في سواحل موريطانيا الذين تعلموا الإسلام على يد الإمام ملك، ولكن أغلبيتهم يعتبرون أنفسهم منحدرين من الساقية الحمراء بالصحراء الغربية[1].

كما نجد فئة من الزواوة الذين حفظوا القرآن الكريم ودرسوا العلوم الشرعية، أي معناها مرابطين بالاكتساب (وهم المتعلمون)، كما نجد أيضا مسلمي الأندلس الذين هم أيضًا استقروا في بلاد الزواوة، إذ نجدهم في المناطق الساحلية كدلس تيقزيرت وأزفون وبجاية[2].

تحدث هانوتوعن تنوع المرابطين، إذ أكد على تواجد مرابطين أمازيغ كعائلة أث ورقان بقرية إعزوزون وعائلة أث سيدي أعلي من قرية ثاقمونت بواذفل، أث موسى المرابطية القاطنة بقرية أثر زمراو من أصل زنجي وغيرهم[3].

نجد هذه الفئة في أعلى السلم الاجتماعي، يشكلون الطبقة الدينية الأرستقراطية يتزوجون فيما بينهم ونادرًا ما يخترقون هذه العادة، أقاموا في منطقة القبائل في حوالي القرن 16م.

يعيشون في دير وجوامع محصنة أو ربطات ومنها جاءت تسمية المرابطين ويتجمعون في قرى بأكملها تقع في الغالب قرب حدود العشائر، أو قرب مؤسسات التعليم الديني كالزوايا،كما انهم متحكمين في اللغة والقرآن، يمارسون قوة السحر الإلهي على القبائل،

---

[1] – محمد أرزقي فراد، المجتمع الزواوي ... مرجع سابق، ص. 453.

[2] – محمد أرزقي فراد، إطلالة ....، مرجع سابق، ص. 25.

[3] – Hanoteau et Letouvneux, Op.cit, P 69.

ويتميزون بالبركة التي تجعلهم كوسطاء روحيين بين الناس والله، لما يجعلهم يحضون بقدر من الإحترام من قبل الطبقات الأخرى[1].

أما فيما يتعلق بأصل كلمة "مرابطي" فهي ذات أصل عربي، وتشير إلى معنى "مربوط، موثق" وفي المعنى المجازي، يدل على الرجل الذي نذر نفسه للعبادة والدراسة والحياة الروحية، وعليه يمكن أن نستنتج بأن المرابطين هم رجال ذوو مهابة وتقوى وعلم اختاروا لأنفسهم هذا النوع من الحياة، إلاّ أنّ اليوم صار الإنسان يولد مرابطيا ولا يصل إلى ذلك من خلال مجهوده الشخصي، فحتى وإن كان اِبن المرابطي جاهلاً أو كافرًا أو فاحشًا وبالرغم من أن ذلك يشيعه موضوع احتقار الجميع، إلاّ أنه سيضل مرابطيًا وسينتقل هذا اللقب إلى خلفه من بعده.

أما المرأة لا تنقل إلى أبنائها هذه الصفة التي ترثها عن عائلتها، فاللقب لا ينتقل إلا من خلال الأب لذريته من الذكور جميعهم بدون استثناء[2].

كما يمكن أحيانًا لبعض النساء نيل سمعة القداسة من خلال الالتزام بحياة الزهد والمغالاة في الممارسات الدينية، فيمنح لهن لقب "لالة" ويكون اسمهن مدجلا في البلد، غير أن التأثير الذي يمارسنه في حياتهن لا يسري على عائلاتهن[3].

لقد ظهرت عدة أراء بشأن أصل مرابطي القبائل وذلك باختلاف التفاصيل، إلا أنها تتفق جميعها في القول بالانتماء إلى أصل أجنبي عن البلد.

2- تواجدهم في منطقة الزواوة:

ظهر المرابطون في بلاد الزواو أثناء الفتوحات وساهموا في نشر الدين الإسلامي الإسلامي، في القرن الثامن الهجري الموافق للقرن الرابع عشر ميلادي جاؤوا كمبشرين بالدين الجديد وتعليم قواعده وتعاليمه من جهة، والتخفيف من حدة المظاهر السلبية التي كان يعاني منها سكان منطقة القبائل من جهة أخرى. وامتازوا عن القبائل بخصائص شخصية وراثية أهلتهم لاكتساب أعلى المراتب في السلم الاجتماعي منها مرتبة الأسياد والأشراف وذلك لما

---

[1] – محمد أرزقي فراد، مرجع سابق، ص: 454

[2] – هانوتو ولوتورنو: مرجع سابق، ص: 84

[3] –المرجع نفسه، ص: 85

يتمتعون به من حنكة ودهاء في فك النزاعات وإشباع الناس بالقيم الأخلاقية، إلى جانب نشر السلم والأمن[1].

يعيشون في دور وجوامع حصينة أو ربطات، ويمثلون الطبقة الأرسطقراطية في المجتمع، عملت السلطة الإدارية العثمانية على تدعيم المرابطين والطرق الصوفية وشيوخ الزوايا باعتبارها السلطة الوحيدة التي تخضع لها الجزائر والقبائل بالخصوص أواخر العهد العثماني، ليكن حكمهم للجزائر غير مباشر بل بواسطة أهلها أنفسهم، أي أن العثمانيون حاولوا خلق إطار للتواصل مع الأهالي عن طريق المرابطين والسلطة الروحية[2].

كما نجد أيضا قبائل مستقلة تمامًا عن السلطة العثمانية إذ أنه طيلة ثلاث قرون إستعصت الجيوش العثمانية دخول هذه القبائل التي كانت شديدة المراس، إذ إستطاعت أن تشكل قوة مضادة مستقلة لها حكمها وأنظمتها السياسية والاجتماعية والاقتصادية مثل إمارتي "كوكو" و"بني عباس" (أث عباس) حتى نهاية القرن 17م، أين ظهر النفوذ المرابطي ووجدوا فيها ضالتهم لإرساخ الأمن[3].

وهناك عائلات مرابطية مشهورة، مثل عائلة أيت أحمد الذي قام في ميشراس قرب إغيل قفري بحيث أشرف هذا الأخير في البداية على تدريس الفقه في ثمعمرث أروس، ثم أسس في قرية إبهلال مدرسة حولها فيما يعد إلى ثمازيرث. كما نجد أيت أورڤان المنتمون إلى قرية إعزوزان، وكذا أيت سيدي علي التابعون لثاڤمونت ڤوذفال هؤلاء كلهم معروفون بأنهم من الزواوة، ثم صاروا بعد ذلك مرابطين[4].

ليس جميع المرابطين مشتتين وسط القبائليين، فعددهم هو من الكثرة إلى حد أنهم يشكلون أحيانا قرى كاملة، بل وحتى قبائل، وفي هذه التجمعات نجدهم يعيشون منفصلين

---

[1] – ختوف علي: السلطة في الأرياف الشمالية لبايلك الشرق الجزائري، نهاية العهد العثماني وبداية العهد الفرنسي، مطبعة الناصر، الجزائر، 1999، ص 104.

[2] – حمدان بن عثمان خوجة: لمحة تاريخية وإحصائية لإيالة الجزائر، تحقيق وتعريب محمد العربي الزبيري، ش.و.ن.ت، الجزائر 1975، ص 88.

[3] – هانوتو وأ.لوتورنو: مرجع سابق، ط2، ص 87.

[4] – المرجع نفسه، ص 90.

تمامًا عن الفئات الأخرى، لذلك كل تجمع مرابطي يسمونه زاوية إذْ كانت بيوتهم غالبًا تتجمع حول قبة أو ضريح مقبب يرقد فيه جثمان ولي صالح، وكان في ذهن القبائليين الزاوية حكْرُ على المرابطين، لكن لا تختلف الزوايا في شيء عن القرى القبائلية من الجانب السياسي والإداري، إذ نجد نفس التطابق معها في كل ما هو خارجي يعني في اللّغة والعادات والتقاليد والحق أنه في مجال التشريع يتبع القبائل والمرابطون نفس الأعراف فلا هؤلاء ولا أولائك أقل تمسكا من غيرهم بالشرع الإسلامي[1].

3- مكانتهم في المجتمع الزواوي:

لعبت هذه النخبة دور هام في المجتمع الزواوي، إذ كانوا يؤدون وظائف دينية وتربوية وتعليمية واجتماعية وسياسية، وكان ذلك عن طريق نشر التعليم في الكتاتيب والزوايا لذا كانت مكانتهم مرموقة، ما جعل السكان يبذلون قصارى جهدهم لخدمتهم ولترقيتهم للاستفادة من خدماتهم، كانت هذه النخبة هي التي تشرف على إصلاح ذات البين في مجالس المصالحة والإشراف على الاجتماعات في مجالس القرى، وتوقيف الحروب بين الصفوف المتقابلة، وإعلان الجهاد عند تعرض أرض المسلمين إلى اعتداءات الأوروبيين المسيحيين[2].

توارثت هذه الفئة حكمها معتمدين على نفوذهم الديني أو كفاءتهم الحربية أو أصالة نسبهم واعتمدت على فرض زعامتها على أصولها العريقة (الأشراف)[3]. كانت كلمتهم مسموعة وهذا ما أكده "حمدان خوجة" أثناء زيارته للمنطقة في قوله: ***"على الرغم من عدم وجود قانون يسوون به خلافاتهم ويكبحون به جماحهم وعلى الرغم من أنهم لا يقبلون الخضوع لأي سلطان، فإن طاعتهم للمرابط طاعة لا يمكن تفسيرها"***، فحسب اعتقادات السكان، فإن دعاء المرابط مقبول عند الله، وكان مقابل دعائهم لهم تقدم لهم قرابين لكي يتحقق ما يتمنونه، وعلى

---

[1] – هانوتو و أ. لوتورنو: مرجع سابق، ص 87.

[2] – هانوتو و أ. لوتورنو: مرجع سابق: ،ص 62.

[3] – حمدان بن عثمان خوجة: مرجع سابق، ص 88.

المرابط أن يكون ملتزم ولا يتصرف إلا لما فيه خير للإنسانية لذلك حتى بعد موتهم يبقى هؤلاء المرابطون محل توقير دائم وتدفن أجسامهم في قبر يحاط بثابوت[1].

وحسب "هايدو" في وصفه لشدة تعلق القبائل بالمرابط بأنهم يزورونهم وخاصة النساء منهم وذلك لطلب الشفاء وإنجاب الأطفال والعين والحسد والمشاكل الاجتماعية كالزواج وحفظ العلاقات الزوجية وعلاج العقم، وصفهم هايدو أنهم نوع من المرابطين الذين تعلموا حرفة السحر والشعوذة وكان ذلك بإرشاد المريض إلى الضريح المناسب مع أخذ اللوازم معه من نقود أو ذبيحة التي يجب التضحية بها.

وكانوا أيضا يعالجون المرضى عن طريق "تعزيمة" وهي كتابة كلام غير مفهوم ويضعونه على رقاب الأطفال وحديثو الولادة ورقاب النساء اللواتي يعانين الإضطهاد من طرف أزواجهن[2].

أما "مورڤان" رأى أنهم من حيث المظهر يلبسون ثياب رثة تثير السخرية، وهم أناس متعصبون يرون أن أفضل الأعمال هي الصوم والإيثار والزهد، ويوضح أيضًا "مورڤان" بعض السلوكات التي يقوم بها الناس اتجاه "المرابط الوالي"، مثل تقبيل أيديهم عند التسليم عليهم وذلك لنيل بركاتهم، وأصبحت أضرحتهم مزارات لنيل البركة، وكان الناس يحلفون بهم وخاصة النساء مثل قول: ***"نفعنا الله ببركاته أمين"*** وغير ذلك، وكانوا يضيفون كلمة ***"سيدي فلان"***[3].

يتزوج المرابط عادة نساء قبائليات، لكنهم بالمقابل يرفضون منحهم لقب لالة (السيدة) المخصص فقط للنساء المنحدرات من الطبقة المرابطية وكانوا لا يزوجون بناتهم قبائليًا إلاّ نادرًا، أما حمل السلاح كان غير واجبًا على المرابطين إلا في حالة الجهاد وعندما تكون القبيلة موضوع هجوم قبائل أجنبية، أما في حالة الشقاق المدني أو الحروب أو العداوة بين العائلات،

---

[1] – المرجع نفسه، ص 18– 19.

[2] – ياسين بودريعة: أوقاف الاضرحة والزوايا بمدينة الجزائر وضواحيها خلال العهد العثماني من خلال المحاكم الشرعية وسجلات بيت المال والبايلك. مذكرة لنيل شهادة الماجستر، تخصص تاريخ حيث، 1519–1830 قسم التاريخ، جامعة الجزائر، 2006– 2007، ص 22– 82.

[3] – المرجع نفسه: ص 85– 86.

لا يتدخلون إلاّ لإصلاح ذات البين، وهذا الدور الذي يعرفون كيف يستغلونه بمهارة أمر يرفع من شأنهم ويضمن لهم في آن واحد النفوذ والمتعة وكانوا يعفون من الجهاد الحربي ومن الإنفاق العام على الضيافة وفي معظم الأحيان من العشر، بل إنهم يحصلون في بعض الحالات على قسط من هذه الضرائب.

يتبين ذكاء المرابطين في أنهم لا يفرطون في هذه الامتيازات وكانوا على يقين بمزاج المرابطين الحساس وأنهم سيدفعون بهم بسهولة إلى دك النير في حالة ما إذا أسسوا صراحة عادة المساواة المفطورين عليها، لقد تأثر ناس المنطقة بالطرق الصوفية إلى حد أنهم قبل ذهابهم إلى الحج يطوفون على مرابطي المنطقة ويقومون بالوعدة، كما يزورون زوايا المرابطين والطرق للتبرك إلى درجة وصل بهم الاعتقاد إلى أن ماء الزاوية يبرئ من العقم ويحفظ الأولاد من الحمى[1].

إضافة إلى الاعتقاد في بركة لعاب الصوفي أو المرابط الذي لا يعيش له أولاد، كما نجد من النساء من يقدمن القرابين ويوقدن المصابيح ويضعن الزهور على الأضرحة بنية إبعاد المصائب، حتى وصل الحد أن سئل أحدهم عمن هو أعظم الله أو المرابط، هذا بالإضافة إلى أن الاعتقاد بحماية المرابط والمتصوفة كانت مدركة لدى الجميع، حكاما وأهالي حيث كان لكل مدينة مرابط يحميها كان حيًا أو ميتًا[2].

لقد اختلط التصوف بالبدعة والشعوذة والخرافة، وجر بذلك عن المألوف من زهد وعبادة والانقطاع عن الله ليتحول إلى دروشة ودجل والتوسل بالأضرحة والقبور والركون إلى الخرفات حتى وصل الحد أن قال "بواير" "Boyer"[3]: ***"أن المرابطين كانت ديانتهم أقرب إلى الوثنية وأغلبهم مصابون بالصرع وتقريبًا هم جهال"***. إذ كثر الإيمان بالخرفات التي نشرها رجال الطرق الصوفية باسم الدين وبتواطؤ مع السلطة فاستفحل أمرهم وصار مبعثا للفوضى في

---

[1] – هانوتو وأ. لوتورنو، مرجع سابق، ج2، ص 85- 87.

[2] – سبنسر وليام: الجزائر عهد رياس البحر، تعريب وتقديم عبد القادر زبادية، ش.و.ن.ت، الجزائر، 1980، ص 15.

[3] –بوايي:

البلاد فتحول الكثيرون من العلم إلى الخرافة[1]. ومن الولاية إلى الشعوذة وحل السحر محل العلم، بحيث كان علماء جزائريين يرون في ذلك سحر وزندقة ودجل بحيث كان الأوروبيون يرون في ذلك خرفات وتخلف عقلي واجتماعي، إذ قال "شو"(Show): ***"أن علوم أهل الجزائر لا تتعدى السحر وأن علماؤها المرابطون والدراويش سحرة"***، لأنه في المقابل حين كان علماء أوروبا ينادون بالحرية العقلية ويبدعون في العلوم والفنون لفائدة الإنسانية كان مرابطون الجزائر ينشرون البدع والخرفات[2].

فهم درجات في العلم والولاية والكرامة والخوارق، فمنهم لما رأينا الجاهل البسيط والعالم والفقيه، والخطيب الإمام ومنهم من كان من أصل المدن ومنهم من كان أهل البادية، وكثيرًا ما أدى حب المال وجمعه وإدعاء الولاية سببًا في تنافس هؤلاء "الأولياء"، حتى تسرب ذلك إلى أتباعهم، فقامت الحروب بينهم والمشاحنات وترددت بينهم الشتائم والضرب. كما نجد أيضًا الذين يدعون الولاية والصلاح لأغراض أخرى كمخالطة النساء، وتوفير الطعام بلا تعب ويأخذون من الأسواق ما شاءوا من الفواكه دون أن يتعرض طريقهم أحد، وإذا ما حاول أحد الاعتراض يتعرض للضرب المبرح أو دعا عليه دعاء مهلكًا[3].

نسبت لهذه الفئة العديد من الأساطير والاعتقادات الخرافية بقديستيهم، وبذلك أصبحت أضرحتهم مزارات لنيل البركة[4]، اعتمد الأتراك العثمانيين على هؤلاء المرابطين وذلك للسيطرة عليهم، إذ كانت هذه الفئة بمثابة القوة الضاربة في المجتمع الزواوي، وعملوا على تدعيمهم وتقديم اِمتيازات هامة لهم تمثلت في الهيبات والأراضي الزراعية وتقيم الهدايا لهم مقابل تسييرهم لشؤون البايلك وجمع الضرائب وإخضاعهم للسلطة الحاكمة[5].

---

(1) – Boyer, La vie quotidienne à Alger à la veille de l'intervention française, Imp. Nationale Monaco, 1964, P 80.

(2) – أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، 1800– 1830م، ج1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998، ص 482.

(3) – المرجع نفسه، ص 487.

(4) – ياسين بودريعة: مرجع سابق، ص ص 85– 86.

(5) – حمدان خوجة: مصدر سابق، ص 19.

4 -علاقتهم بالسلطة الحاكمة:

عمل العثمانيون بمبدأ ثنائية السلطة الإدارية من خلال تدعيمهم للمرابطين والطرق الصوفية وشيوخ الزوايا باعتبار أن السلطة الوحيدة التي تخضع لها الجزائر في أواخر العهد العثماني بالريف هي سلطة المرابط، القائد أو الشيخ. بذلك يكون حكمهم للبلاد غير مباشر وبواسطة أصلهم أنفسهم خاصة في المناطق الغير الخاضعة والبعيدة عن دار السلطان، وهذا يبين أن العثمانيون حاولوا خلق إطار التواصل مع الأهالي عن طريق زعماء القبائل والسلطة الروحية[1].

طيلة ثلاثة قرون استعصت على الجيوش العثمانية بعض المناطق التي تقطنها قبائل شديدة المراس، والتي حافظت على إستقلالها بعد فشل العثمانيين في إخضاعها وإستطاعت أن تشكل قوة مضادة مستقلة لها حكماها وأنظمتها السياسية والاجتماعية والاقتصادية، وقد ساعد هذا الوضع الخطر الإسباني الذي دفع بالعثمانيين إلى عقد الصلح مع هذه القبائل بحيث ضمن لها نفوذها واستقلالها، خاصة بمنطقة زواوة التي لم تكن خاضعة فيما بين القرنين 16م، 17م، بل كانت عبارة عن إمارات مستقلة كإمارتي كوكو وبني عباس، لكن مع نهاية القرن 17م عوضته بتحالفات قبلية ذات النفوذ المرابطي[2].

وجدت القبائل ضالتها في السلطة الروحية لارساخ الأمن إذ قال حمدان بن عثمان خوجة: ***"هذه القبائل وضعت ثقتها التامة بالمرابطيين..."***.

أما محمد الشريف الزهار[3]: ***أن سكان تلك الجبال كلهم عصاة لا يتصرف فيهم الآغا أو الباي، بل يتصرف فيهم المرابط"***، وذلك عكس سلطة القياد التي تعتمد على القوة مثلها

---

[1] – قداش محفوظ: مرجع سابق، ص 10- 11.

[2] – حمدان خوجة، مرجع سابق، ص 88.

[3]- محمد الشريف الزهار:هو احمد بن الحاج علي شريف الزهار ولد سنة 1781 و هو نقيب الأشراف في مدينة الجزائر عاصر الاحتلال الفرنسي و كان عمره حوالي خمسينة سنة ،أنضر أبو القاسم سعد الله تاريخ الجزائر الثقافي ج 7 ص 457،

مثل السلطة المركزية بالمدينة، فالمرابط ترتكز سلطته على الاحترام والوقار والوازع الديني والأخلاقي، لتكون بهذا سلطة المرابطين أهم السلطات التي إعتمد ليها الدايات لبسط نفوذهم والتفاوض ومحاولة إخضاع القبائل الغير الخاضعة[1].

ساد في منطقة القبائل تجمعات قبلية كبرى مرابطية، أو غير مرابطية، وقد حاول البايلك كسبها بعدة طرق، كالتقرب من شيوخها ومرابطيها، وإستقطاب المطالب المخزنية عنهم، وتقديم الهدايا ومنح فرمانات التولية مقابل تأمين الطرق وجمع الضرائب من المناطق الخاضعة لها، وحتى بخلق التنافس والتناحر بين هذه القبائل والهدف من وراء ذلك إفشالها والتحكم فيها[2].

قام العثمانيين بتقسيم البيالك إلى عدة أجزاء ويحتوي كل وطن على مجموعة من القبائل والأعراش والدواوير وعلى كل وطن قائد، كانت علاقة السكان بالإدارة علاقة مباشرة بالنظام الضريبي، ولمراقبة كل صغيرة وكبيرة في المنطقة قام العثمانيين بتشييد الأبراج وذلك للإبقاء القبائل الرعية خاضعة لمراقبة القياد والأشراف والمرابطين الذين تمنح لهم امتيازات وصلاحيات مقابل جمع الضرائب وتقديم ضمانات الحماية لهم عند مرورهم في المنطقة التي هم على رأسها[3]، وهذا ما مهد لظهور حركة صوفية مرابطية واسعة النطاق تتحكم في كل الأوضاع اليومية، ما سمح للقائمين عليها ممارسة القضاء وإشراكهم في دواليب السياسة[4].

وما يوضح هيمنة المرابطين في المجتمع الزواوي ما تشير إليه بعض المصادر التاريخية إلى ذلك بالقول: ***"أن الدولة العثمانية لا تستطيع المرور بجبال البيبان وجرجرة دون أخذ ضمنات وحماية المرابطين المؤثرين في المنطقة"*** [5].

---

[1]–حمدان خوجة، مرجع سابق ، ص 89.

[2] – أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، ص45

[3] – سعيدي مزيان: السياسة الاستعمارية الفرنسية في منطقة القبائل ومواقف السكان منها، 1871– 1914، (أطروحة دكتوراه)، كلية العلوم الإنسانية، قسم التاريخ، الجزائر، 2009، ص 45.

[4] – بومولة نبيل: مرجع سابق، ص 25.

[5] – المرجع نفسه: ص 73– 74.

كانوا مكلفين بإيصال حرايات الجند المقيمين بالحامية العسكرية، إذ نص أحد بنود الاتفاقية المنعقدة بينهم والسلطة، على ما يلي: ***"إن المرابطين حومة، يأخذون من الأعراش أعشار الزرع والتين والزيت... والمرابطون يأمرون أعراشهم إلى طاعة المخزن والعافية"*** [1].

لكن هناك المرابطين المخلصين لقبائلهم وأعراشهم، يقومون بدور الوساطة بين قبائلهم الثائرة والسلطة وذلك تجنبًا لإراقة الدماء مما جعل هذه السلطة الروحية الدينية تنافس السلطة السياسية ولعبت دورًا هامًا أثناء فترات الفراغ السياسي في المنطقة[2].

وعلى هذا الأساس ارتكز العثمانيون أو القادة أثناء اختيارهم للشيخ أو المرابط على أن يحض هذا الأخير بالثقة المزدوجة من الطرفين، وحسب قوة قبيلته ومدى النفوذ الذي كان يحض به وسط أتباعه وقد كان يطلب منهم ثلاث خدمات وهي:

- جباية الضرائب.
- السهر على الأمن.
- تعبئة السكان إلى جانب الجيش العثماني في وقت الحاجة.

وكانت تضاف إليهم صلاحية القضاء في بعض الأحيان لكونهم يعرفون أعراف منطقتهم.

في الأخير يمكن القول أن العثمانيين حاولوا في بداية الأمر أن يستفيدوا من كل المعطيات الداخلية، كاستغلال طبيعة شبكة العلاقات المحلية بكيفية تخدم مصلحة حكومة الإيالة، لذلك لجؤوا أحيانا إلى سياسة التهدئة ومحاولة كسب سكان المنطقة وهو ما تجلى من خلال سياسة خلق تجمعات سكانية أصبحت بفعل الزمن جسر للعلاقات بين سكان المنطقة والحكام العثمانيين، وكان للمرابطين دور فعال في هذه العلاقات باعتبارهم السلطة الحاكمة في منطقة القبائل في تلك الفترة[3].

ثانيأ: الطرق الصوفية ودورها بالمنطقة:

---

[1] – حمدان بن عثمان خوجة: المصدر السابق، ص 46.

[2] – هانوتو وأ. لوتورنو: المرجع السابق، ج2، ص 86.

[3] –زين دين قاسيمي: مرجع سابق، ص 144.

تعتبر الطرق "الصوفية"[1] ظاهرة دينية ثقافية متعددة الأبعاد، نشأت في ظروف فكرية واجتماعية وسياسية معينة، ظهرت في بغداد خلال القرن الرابع الهجري كمؤسسات وهيئات لها نظامها الخاص وأساليبها الخاصة في التربية والتوجيه والإرشاد وأصبح بعد ذلك لكل شيخ طريقته المستقلة[2].

تكورت حركة الطرق الصوفية بالمغرب عمومًا بالجزائر خصوصًا، بحيث ازدهرت وانتشرت بالجزائر قبل وصول العثمانيين إليها، ولقد لعبت هذه الطرق دورًا بارزًا في الحياة العامة للشعب في كامل البلاد، جمعت بين الدورين الديني والسياسي ولعل من أكثر الطرق شيوعا هي الطريقة الخلواتية أو الرحمانية[3].

عرفت هذه الأخيرة نجاحًا كبيرًا في مختلف المناطق التي اكتسحتها، بزرع روح العدالة الاجتماعية وجمع تلك الصفوف المتشتتة سياسيا حول آراء مختلفة وأهداف متباينة وبرزت بشكل فعال ومؤثر في الحياة اليومية للسكان الذين اِحتضنوها ورفعوا لواءها ونشروا تعاليمها وانخرطوا فيها ذكورًا وإناثا، واِستطاعت أن تتغلغل في أوساط المجتمع الريفي الزواوي وفي المدن معًا[4].

1- أصل الطريقة الرحمانية:

تنسب الطريقة الرحمانية إلى مؤسسها الشيخ محمد بن عبد الرحمن الجرجري القشطولي الأزهري الزواوي، الذي ولد في حدود 1714- 1715م بقرية أث سماعيل عرش قشطولة

---

[1]- **الصوفية:** يعني هذا المصطلح تصفية القلب وتظهيره من رجاسات من غير الله وإخلاص العبودية له وتحرير الجسد ونبذ الدنيا وهجرة لذائذها، لذا كانت له مكانة مرموقة في المجتمع الإسلامي. عبد المنعم القاسمي الحسني :الطريقة الخلواتية الرحمانية :الأصول و الأثار منذ ظهورها الى غاية الحرب العالمية الأولى،رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوره في العلوم الاسلامية ،تخصص عقيدة ،جامعة الجزائر ،2008-2009 ص18

[2] – صلاح مؤيد العقبي: الطرق الصوفية والزوايا في الجزائر، تاريخها ونشاطها، دار البراق، و.د، لبنان، بيروت، 1963، ص 09.

[3] – المرجع نفسه: ص 09.

[4] – خنفوق إسماعيل: دور الطرق الصوفية في منطقة الأوراس 1844، 1931، رسالة ماجستير في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، قسم التاريخ وعلم الآثار، الجزائر، 2010- 2011، ص 32.

بضواحي بوغني، تتلمذ على يد العديد من المشايخ، منهم محمد بن سالم الحفناوي الذي منح له الطريقة الخلواتية، بحيث سلمت إليه مهمة الدعوة الدينية في الهند والسودان والحجاز وتركيا[1].

كان الشيخ بمثابة المتمم للطريقة الخلواتية في الجزائر إليه تنسب الطريقة الرحمانية بل هو المؤسس الحقيقي لها في الجزائر في القرن الثامن عشر (18م)[2].

تعتبر الطريقة الرحمانية فرع من فروع الطريقة الخلواتية التي ظهرت بالمشرق على يد الشيخ إبراهيم الزهاد في منتصف القرن 14، ولها فروع أخرى منها الحفناوية نسبة لمؤسسها أبي عبد الله محمد بن سالم الحفناوي ومنه أخذ الشيخ بن عبد الرحمن تعاليم الطريقة، وبعد عودته إلى الجزائر حوالي سنة 1770م، وبعد غياب دام ثلاثين سنة، إستقر بمنطقة القبائل أين أقبل عليه الناس وزاد الإخوان والمريدون وكللت دروسه بنجاح فائق واتسعت سمعته بعد أن ثبتت دعائم طريقته هناك[3].

تمكن الشيخ من نشر أفكاره دون قيود ليضع بذلك أساسًا صلبة لطريقته وإجتهد بذلك في التدريس والتعليم والتأليف وقبل وفاته في سنة 1793م، أوصى بالخلافة إلى الشيخ علي بن عيسى المغربي الذي هو أيضًا اجتهد في نشر تعاليم الطريقة واستمالة العديد من المريدين إليها.

2-مواطن انتشارها في الجزائر:

بعدما عاد الشيخ محمد بن عبد الرحمن إلى مسقط رأسه عام 1183هـ/ 1769م وبعدما أسس زاوية في أث سماعيل، قام بزيارة مدينة الجزائر عدة مرات واستطاع أن يكسب قلوب الذين استمعوا إليه وأسس بذلك زاويته بالحامة، ولم يقتصر إنتشار الرحمانية بمنطقتي سيباو كلها ومدينة الجزائر فحسب، بل وجدت أيضًا في إقليم الشرق الجزائري واحتضنها العديد من

---

[1] – زيدين قاسمي: مرجع سابق ص ص 134-135.

[2] – يسلي مقران: مرجع سابق، ص 92.

[3] – بطاش علي: لمحة عن تاريخ منطقة القبائل، حياة الشيخ الحداد وثورة 1871، ط2، دار الأمل الزيتونة، 2007، ص 62.

الجزائريين، ونشرت تعاليمها. فعرفت بذلك تطورًا سريعًا في عدة مناطق لاسيما قبيل وفاة مؤسسها الشيخ محمد بن عبد الرحمن وفي عهد خليفته الشيخ علي بن عيسى المغربي[1].

كانت للزاوية الرحمانية صلة وثيقة بعدة مناطق وزوايا أخرى بالجزائر مثل زاوية "رحية الصوف" وزاوية "حي الشارع" بقسنطينة. كان لها أتباع ومن أبرزهم في منطقة الزواوة الشيخ الحاج علي بن الحملاوي بن خليفة، بحيث كانت لهذا الأخير قيمة علمية وأدبية وبلغ عدد أتباعه أكثر من 400.00 مريد[2]. ووهران والجزائر العاصمة.

كما لها أتباع آخرون في كل من قسنطينة وفي بني منصور وفي أقبو والبويرة وبجاية، لذلك عرفت هذه الطريقة تطورًا سريعًا في عدة مناطق لاسيما قبيل وفاة الشيخ محمد بن عبد الرحمن، وساهم على انتشارها عدة عوامل ومن بينها:

– ظهورها في وقت جد حساس، إذ كانت المنطقة في أمس الحاجة إليها ولاسيما بعدما استمرت التمردات والاضطرابات في المنطقة إزاء حكومة الإيالة، وفشل الأمناء (ثاجمعت) في إيجاد مخرج للأزمة التي كانت تتخبط فيها المنطقة وبذلك إنتقلت قيادة المجتمع إلى يد الطريقة الرحمانية.

– حنكة الشيخ محمد بن عبد الرحمن في الدعوة ومعرفته لمنهج كسب القلوب عند مخاطبته للعقول ومعرفته كيفية جمع العرف المنتشر في المنطقة والشريعة[3].

ومن أهم المناطق التي انتشرت فيها أيضا الطريقة الرحمانية انتشارا كبيرًا، وسط وشرق وجنوب الجزائر، ولعل من أكثر أتباع الطريقة الرحمانية من الطبقات الشعبية الفقيرة من عمال وفلاحين، تجار صغار، وقد بلغ عدد الزواياها والتي سجلها المستشرق كيف أكثر من 188 زاوية وفاق عدد أتباعها ما بين 156214 خوليًا، حسب المستشرق كيف (Kif)[4].

---

(1) – زيد بن قاسمي، مرجع سابق، ص 135– 136.

(2) – يسلي مقران، مرجع سابق، ص 96.

(3) – زيد بن قاسمي، مرجع سابق، ص 137.

(4) – صلاح مؤيد العقبي: الطرق الصوفية والزوايا بالجزائر، تاريخها ونشاطها، دار البراق، لبنان، بيروت، ب.س.ن، ص 157.

ظلت زاوية الأم تقوم بأداء رسالتها على أكمل وجه بفضل شيوخها الأجلاء، كما نجد زاوية الحامة بالعاصمة وزاوية الشيخ الحداد ببلدة صدوق والزاوية العثمانية بطولقة وزاوية الشيخ عبد الحفيظ الحنفي في نواحي بسكرة[1]، طوال الحقبة العثمانية في الجزائر.

3- دورها وتأثيراتها على المجتمع الزواوي:

لعبت الطريقة الرحمانية دور فعال في المجتمع الجزائري عمومًا والمجتمع الزواوي خصوصًا، إذ استطاعت أن تجمع سكان المنطقة حولها وتنفرهم بشكل غير مباشر عن كل نفوذ ديني آخر، بحيث اِستطاعت أن تدخل في المجتمع أفكار جديدة، ولا تزال زاوية أث سماعيل مكانا للتجمعات التي يقيمها مريدي الطريقة منذ عهد محمد بن عبد الرحمان وخلفائه[2].

لعبت دورًا هامًا في إقامة الشعائر الدينية وفي الحفاظ على العقيدة الإسلامية بالدفاع عنها، وبناء المساجد والزوايا والأضرحة وفي حبس الأحباس التي تخدم هذه الأغراض، وبنو بذلك الكتاتيب وغيرها من المؤسسات الدينية. وركزوا في تعليمهم على القرآن الكريم حفظًا وتفسيرًا وقد نبع فيه علاماء كثيرون في مختلف العلوم وخاصة العلوم الإسلامية، كالفقه والتصوف، بحيث أدت هذه المدارس دورًا دينيًا من جهة ودورًا تعليميًا من جهة أخرى[3].

بزغ دور الرحمانية عندما كانت المنطقة في أمس الحاجة إليها وبعد فشل الأمناء (تاجماعت) في إيجاد مخرج لتلك التمردات و الاضطرابات التي كانت تتخبط فيها المنطقة ازاء حكومة الايالة. انتقلت القيادة إلى يد الطريقة الرحمانية. وبها تمكنوا من نشر تعاليم الطريقة السمحة وبذلك علموا الإخوة الرحمانيين التأني في أمورهم الدينية والدنيوية وتوفير شروط لإقامة أمرها والتسيير على الناس في أمورهم الدينية والدنيوية، كما عملت الطريقة على تنمية العلاقات داخل المجتمع المحلي بحث المريدين على التزاور إذ أن الزيارة في نظر مؤسس الطريقة مطهرة للنفس وأمراضها وزيارة للمحبة ونسيج أواصرها في المجتمع وعمدت

---

[1] – صلاح مؤيد العقبي مرجع سابق ص 158.

[2] – زيد بن قاسمي: مرجع سابق، ص 141.

[3] – زيد بن قاسيمي: مرجع سابق، ص 63- 64.

على تعليم كل الناس ذكورهم وأنثاهم صغيرهم وكبيرهم وهذا كان بغية إيجاد توازن وانسجام داخل المجتمع[1].

اهتمت الطريقة بمختلف العلوم بعد حفظ القرآن الكريم والحديث الشريف والاهتمام بعلوم أخرى كاللغة، والنحو والطب، وعلم الفلك، وما زاد من نجاح الرحمانية هو تثبتهم لروح العدالة الاجتماعية وجمعها للصفوف المتشتة سياسيًا حول آراء مختلفة وأهداف متباينة، وهو دور أساسي لعبته الرحمانية إذ كانت ملجأ لفرد صاحب قضية معينة، أو وسيلة لتسوية خلاف ما بين قبيلة ما وحكومة الإيالة، ما ساعد على نجاحها في مختلف المناطق التي اِكتسحتها وكسبها لقلوب عدد كبير من الناس في شرق الإيالة (قسنطينة) وفي غيرها حتى في بايلك الغرب وخارج الإيالة[2].

لعلى لا يمكن أن نميز بين الدورين التعليمي والديني التي كانت تقوم بها الطريقة الرحمانية، إذ أن كل واحد منهما يكمل الآخر نظرًا للعلاقة الموجودة بين الدين والتعليم ولعل هذا الترابط هو الذي كان حاجزًا حول كل المحاولات التي كانت ترمي إلى تغيير الشخصية الجزائرية[3].

أهدت الزاوية الرحمانية لمنطقة القبائل خدمة هامة في نشر التعليم على أوسع نطاق فقد كان لها أساتذة في حياة الشيخ محمد بن عبد الرحمن، منهم الشيخ أحمد بن الطيب الصالح الرحموني الذي نظّم أرجوزة في الفقه، تخرج من هذه الزاوية الكثير من العلماء ممن ساعدتهم مواهبهم أن يكونوا فقهاء وعلماء في العلوم العقلية والنقلية أمثال الشيخ السعدي بن الزكري مفتي الجزائر العاصمة، والشيخ القاضي بسيدي عيش والشيخ سيدي قاسم البوجليلي والشيخ الطاهر القيطوسي المصلح العظيم الذي قرأ ألفية بن المالك وختمها نحو 25 مرة.

والجدير بالذكر أن هذه الزوايا لا تزال تعد لنا رجالاً أمثال الشيخ أبو يعلي الزواوي والشيخ السعيد اليجري النحوي وغيرهم، وأضاف أحد الكتاب الجزائريين على الدور الفعال

---

[1] – المرجع نفسه ، ص136.

[2] — زيدين قاسمي: مرجع سابق ، ص 139.

[3] – يسلي مقران، مرجع سابق، ص 515.

للزاوية قائلاً: ***لبعض الطرق الصوفية بقطرنا مزايا تاريخية لا يستطيع أن ينكرها حتى المكابر، إنها استطاعت أن تحفظ الإسلام بهذه البلاد في عصور الجهل والظلمات وعمل رجالها العاملون الأولون على تأسيس المؤسسات القرآنية يرجعون فيها الضالين إلى سواء السبيل ويقومون بتعليم الناشئين، وبث العلم في صدور الرجال، ولولا تلك الجهود العظيمة التي بذلوها والتي تقف أمامها اليوم موقف المعترف المعجب لما كنا نجد الآن في بلادنا أثرًا للعربية ولا لعلوم الدين"*** [1].

دعى الشيخ إبن عبد الرحمان للإصلاح ووفق في دعوته إليه بناحيتين ناحية نشر العلم والدين وناحية بث الأخلاق الفاضلة وتربية النفوس الكريمة التي بها كمال النفس، إذ يقول في وصيته المشهورة: «***إنّ عهد الله وميثاقه أن تتقي الله في سائر أحوالك وتخلص في جميع أعمالك وعليك بإتباع الكتاب والسنة فإنها الطريق الموصل إلى الله تعالى وأعمل متجردًا عن ضغوط نفسك في الدنيا والآخرة.... وعليك بالإحسان إلى الخلق بتوقير الكبير والرحمة على الصغير، وعليك بكف لسانك بما لا يعنيك وإياك والمخادعة وحب الشهرة وعليك بإلتزام الأب مع كل مخلوق***» [2].

هذا وقد تعاظم دور الزاوية مع تراجع دور السلطة المركزية حتى صارت تشرف إشرافا تامًا على المجتمع، من خلال قيامها بمهام التدريس والتعلم والرعاية الاجتماعية والصلح والمصالحة بين الخصومات المستلهمة من القيم الإسلامية وبعض العادات الحسنة.

وبالنظر إلى الزعامة الروحية التي كانت تتمتع بها الزوايا فقد عمل المحليون والأتراك العثمانيون على كسب ود الشيوخ وعلى سبيل المثال نجد الشيخ منصور الجنادي (المتوفي عام 1645م) المعروف بخصومته لأث القاضي الذين حكموا إمارة كوكو، الأمر الذي دفع إلى استقدام سيدي أعلي أوطالب من قرية ثيزا بأزفون إلى كوكو أين أسس زاويته المشهورة

---

[1] – يسلي مقران، مرجع سابق، ص ص 517– 518.

[2] – يسلي مقران: مرجع سابق، ص ص 94– 95.

وزاوية الشيخ أحمد بن عبد الرحمن في أث إسماعيل فإنها لم تنظر بعين الرضا إلى تواجد الأتراك في برج بوغني لذلك تعرضت الزاوية للتخريب عدة مرات ابتداء من سنة 1767م[1].

حاول العثمانيين في بداية الأمر الاستفادة من كل المعطيات الداخلية، كاستغلال طبيعة شبكة العلاقات المحلية بكيفية تخدم مصلحة حكومة الإيالة وحاولت أن تستدرك الأمر في نهاية المطاف، فوجهت سياستها إلى حكم المنطقة بأهلها وعملت بذلك على استمالة شيوخ القبيلة وذلك بعد عدم نجاح سياسة التجريد والردع على تلك المناطق[2].

ومن أجل ذلك قدمت حكومة الإيالة تضحية كبيرة بالمال والرجال ليحققوا نتيجة الولاء التي تعكسها الدعوات للسلطان العثماني بالباب العالي من أعلى منابر وادي سيباو[3].

كانت الرحمانية بمثابة الحصن المنيع أمام الهيمنة التركية التي لم تتوان في استعمال الدين الإسلامي كوسيلة للهيمنة، لذلك حاول الأتراك أن يثمنوا موت سيدي أمحمد بن عبد الرحمن باسترجاع جثته إلى الحامة ليدفن هناك خوفا من أن يكون ضريحه مركز تجمع الزواوة، التي ستجعل من المكان فرصة لإثارة الثورة على السلطة، لكن سكان قشطولة مازالوا يعتقدون بوجود جثتين واحدة في الحامة والأخرى بأيت إسماعيل لذلك جاءت تسمية بوقبرين[4].

بالرغم ما حققته الرحمانية أوساط المجتمع الزواوي، إلاّ أن بعض القبائل لم ترحب بظهورها لاسيما قبائل المخزن وبعض المرابطين المتحالفين مع حكومة الإيالة والذين كانوا يخشون على ضياع مكاسبهم ومكانتهم أوساط القبائل ومن بين هؤلاء الذين يشكلون قائمة طويلة نجد منهم عمراوة وأولاد زعموم وفليسة أمليل وبعض أفراد أث بوختوش[5].

لم تعرف الوساطة المرابطية وجودًا ولم تظهر في محيط الرحمانية لاسيما بمنطقتي بوغني وعرش أث إسماعيل على الخصوص. بسبب حرص أقطاب وأتباع الرحمانية على

---

(1) – محمد أرزقي فراد، إطلالة ...، مرجع سابق، ص 76.

(2) – زيدين قاسيمي، مرجع سابق، ص 143.

(3) – زيدين قاسيمي: مرجع سابق، ص 143.

(4) – بطاش علي، لمحة عن تاريخ منطقة القبائل، ط2، مرجع سابق، ص 63.

(5) – زيدين قاسيمي، مرجع سابق، ص 139.

ذلك، لأن أية وساطة خارج الرحمانية تمثل بالنسبة لها إجراءًا موازيا، ومنافسة في النفوذ وما ترتب على ذلك الأمر هجرة المرابطين نحو السهول بحثا عن مواقع جديدة تمكنهم من أداء دورهم بشكل فعّال، وهو ما جعلهم ينافسون قبائل المخزن، بحيث ساعد ذلك على تشكيل مراكز مرابطية جديدة[1].

أثبت بعض الباحثين المعاصرين عن الدور الهام الذي لعبته الزوايا عمومًا والزاوية الرحمانية خصوصًا قائلين: «***ونولي وجهتنا نحو بؤرة المجتمع وتفاعلاته اليومية نلتقي بالفعل بالدور الذي لعبته التنظيمات الصوفية كوثبة من "الوثبات الحيوية" التي تعبر عن حركات المجتمع وتطوره الذاتي***». كانت الزوايا منذ تأسيسها ملجأ للفقراء، والمساكين ومحطة لعابري السبيل ومأوى اليتامى، كما أنها كانت قبلة للمتخاصمين من أجل فض نزاعاتهم ومركز إشعاع يحافظ على تقاليد المجتمع وعاداته وأصالته، ونظرًا لكل هذه الخدمات التي تؤديها هذه الزاوية أصبحت العامة تعتمد اعتمادا كليًا عليهم لمواجهة الأزمات الاجتماعية والاقتصادية التي كانت تحل بها من حين لآخر وهذا لعجز الدولة أو السلطة عن التكفل بحل مشاكل الناس، ومع مرور الزمن ترسخت قناعة لدى العامة أن هذه الطرق الصوفية عامتا هم أقدر الناس على حل المشاكل وتقديم المساعدات للطبقات المحرومة[2].

عرفت المرحلة الأخيرة من العهد العثماني في الجزائر فترات عصيبة وقاسية، نتيجة تدهور الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية والذي أثر سلبًا على الحالة الصحية والمعيشية انعكست على الوضع الديمغرافي بعدم اِستقراره من حيث العدد والكثافة. ويعود هذا التدهور في الجانب الاجتماعي إلى عدم اهتمام الحكام الأتراك بأمور الشعب ويقول ناصر الدين سعيدوني: ***في هذه الفروق الأتراك بأمور الشعب"*** ويضيف ***في هذه الفروق المأزمة اقتصاديًا والمضطربة اجتماعيًا، تحولت المدن الجزائرية إلى بيئات منكمشة على نفسها متخوفة من سكان الريف القريبين منها، كما غدا الريف الجزائري مجالاً مغلقًا على نفسه يكاد يفقد صلته***

---

[1] – زيدين قاسيمي ,المرجعالسابق ، ص 140.

[2] – عبد المنعم قاسمي الحسني: الطريقة الخلواتية الرحمانية، الأصول والآثار منذ ظهورها إلى غاية الحرب العالمية الأولى، رسالة لنيل شهادة الدكتوراه في العلوم الإسلامية، تخصص عقيدة، جامعة الجزائر، 2008– 2009، ص 156.

بالمدن... وغير مستعد للتعامل مع السلطة المركزية بعد أن تحول أغلب سكانه المؤطرين بشيوخ الزوايا إلى موقف عدائي صريح من إدارة البايلك والمتعاملين معها..." [1].

وفي الأخير يمكن القول أن الطريقة الرحمانية أدّت دورا هاما في المجالات المختلفة الدينية والعلمية والاجتماعية والسياسية، فظهرت بذلك عوامل جديدة أثرت تدريجيًا على نمط الحياة في المنطقة[2].

وهذا ما أبقى البنية الثقافية والاجتماعية محافظة على طابعها التقليدي وسمح لها بتقديم الخدمات الضرورية في مجال العبادة والتعليم والقضاء.

ما ميز المجتمع الزواوي أواخر العهد العثماني، قوة سلطة المرابطين المستمدة من دعم السلطة المحلية لها، هذه الأخيرة وظفتها لبسط نفوذهما وإخضاع قبائل زواوة.

حاول الأتراك كسب هذه الفيئات الفعالة في المجتمع، وذلك بعدة طرق كالتقرب من شيوخها ومرابطيها وإسقاط المطالب المخزنية عنهم، وتقديم الهدايا ومنح فرمانات التولية لهم مقابل تأمين الطرق وجمع الضرائب من المناطق الخاضعة لها.

وما يمكن قوله عن علاقة السلطتين المركزية والمحلية بالزواوة، بأنها علاقة غير مستقرة طوال ثلاثة قرون، وبقيت المنطقة شبه مستقلة في أمورها ما عدا بعض قبائل سيباو المخزنية.

وساهمت الطريقة الرحمانية في الحفاظ على هوية المنطقة الدينية، رغم بعض المساعي لإخضاعها إما بالقوة أو بالشعوذة.

---

[1] – عبد المنعم القاسيمي الحسني، مرجع سابق، ص 156.

[2] – زيدين قاسيمي، مرجع سابق، ص 144.

الفصل الثالث:

طبيعة العلاقة بين الإدارة المحلية و الزواوة

الفصل الثالث :

طبيعة العلاقة بين الإدارة المحلية و الزواوة

- طبيعة العلاقة بين السلطة و قبائل المخزن .
- استراتجيات الأتراك في المنطقة .
- ردود فعل السكان المحليين .
- دور الزواوة في الجهاد البحري.

منذ وطأة أقدام الأتراك العثمانيين أرض الجزائر بدؤوا ينظرون لمنطقة القبائل بنظرة خاصة واهتموا بها وعملوا على استمالة القوى السياسية والدينية المؤثرة نحوهم، فتحالف خير الدين في بداية الأمر مع عائلة آث القاضي، عائلة نافذة في منطقة القبائل الغربية كما تحالفوا مع أسرة آث عباس في القبائل الشرقية[1].

اعتمدوا خلال تواجدهم في الجزائر على دعم وسند بعض القبائل المخزنية وتتسم هذه القبائل بطابعين فلاحي وعسكري[2]. وحسب تعريف نصر الدين سعيدوني: ***إنها قبائل متحالفة مع السلطة، ويتجلى هذا الدعم من خلال السند الذي قدمته هذه القبائل للأتراك وذلك من خلال منحهم للأراضي بذلك أقدم هؤلاء على إعفائهم من الضرائب و منحوا لهم لامتيازات اقتصادية وعسكرية وذلك بما يربط مصالحها لخدمة الحكومة التركية، وبفعل هذا الانتساب والاستقرار اكتسبت هذه الجماعات كيانات مستقلة كيانا مستقبلا و متميزا في تلك الفقرة*** [3].

أولا: طبيعة العلاقة بين السلطة المركزية وقبائل الزواوة:

كانت العلاقات بين الزواوة والسلطة المركزية متوترة في الغالب، مع فترات صلح مؤقتة ويعود ذلك لتعلق السكان بحرياتهم وقوانينهم العرفية ورفضهم لمبدأ دفع الضرائب للإيالة. وباءت كل محاولتهم لإخضاع السكان بالفشل نتيجة الجبال الوعرة وتحصن أهلها،إلى جانب ذلك فلقد أشعل الأتراك الصراع الذي كان بين الإمارتين آل القاضي في جرجرة و آل المقراني في آل عباس بجبال البيبان، واستغلوا أيضا بتلك الأحقاد التي كانت بين أهالي الزواوة ، فعملت على إخماد النار بينهم بدعم نفوذها في المنطقة، ولعل خير مثال على ذلك انتصار يحي آغا

---

[1] – نبيل بومولة : المرجع السابق، ص 71

[2] – أرزقي شويتام: ***المجتمع الجزائري و فعاليته في العهد العثماني 1519-1830***.رسالة لنيل شهادة الدكتورة في التاريخ الحديث والمعاصر، السنة الجامعية، 2005 – 2006، ص. 163

[3]– نصر الدين سعيدوني: ***دور قبائل المخزن في تدعيم الحكم التركي بالجزائر***.جريدة الأصالة ع32 1976 ص46.

على قبيلة آث واقنون في موقعة آث سعيد 1825، بفضل الدعم الذي تلقاه من عرش إفليسن لبحار ولقد أدى ذلك إلى قطع رؤوس 300 شخص وأخذ أملاكهم واغتصابها[1].

يضيف وليام شالر (قنصل أمريكا بالجزائر) في ذات السياق حول علاقة السلطة بقبائل الزواوة: ***أن هؤلاء أثناء هجرتهم للعمل في مدينة الجزائر كانوا لوجودهم دور هام لتجسيد سياسة الصلح بين الطرفين، وقد كان هؤلاء بمثابة ورقة ضغط في يد الأتراك"*** ،

و يواصل حديثه قائلا: ***"وهذا الشعور بحب الوطن يستحوذ على نفوس القبائل كلية، بحيث حدث في ذات مرة إني فقدت جميع خدمي الذين تخلوا عني فجأة بحجة أن بلدتهم تخوض غمار حرب و هو يدعوهم لحمل السلاح"*** [2].

لقد كان للأتراك استراتيجيات في تسيير المنطقة، فقسموا سكان القبائل، إلى أصناف الصنف الأول: "قبائل مخزنية"، والصنف الثاني "قبائل رعية".

وهناك قبائل أخرى بعضها تحالفت مع القيادة وبعضها الآخر، إما معارضة إما محايدة. فلقد عبر الكتاب والمحلين عن هذه السياسة لبسط العثمانيين لنفوذهم في المدن خلافا على الأرياف[3].

أما السكان الخاضعون للسلطة المركزية، استقروا في المناطق السهلية القريبة من الأسواق الأسبوعية، وتتعامل مع السلطة عن طريق شيوخها ومرابطيها. فأصبحوا بحكم العادة والعرف حكامها، وغلب على هذه العائلات التي تولت حكم المجموعات القبلية المتحالفة الطابع الحربي بمناطق جرجرة والبابور والصومام. اعتمدت في فرض زعاماتها على أصولها العريقة وامتثالها لرأي الجماعة[4].

---

(1)–أرزقي فراد: ***المجتمع الزواوي في ظل...*** . مرجع سابق، ص 46 .

(2)–وليام شالر: **مذكرات وليام شالر**، تعريب إسماعيل العربي، .ش.و.ن.ت الجزائر، 2002، ص117 .

(3)-زيدين قاسمي: مرجع سابق، ص 78 .

(4)-بمولة نبيل: مرجع سابق، ص 72.

كانت السلطة العثمانية تحدد سلطة شيوخها، تضعهم تحت نفوذ حاكم عثماني، إما بالنسبة للمساهمات والضرائب، فإنها تدفع باستمرار على الرغم من أنه كان، بإمكان هذه القبائل الانقلاب على النظام التركي. إلا أن هذا الافتراض لم يتحقق بسبب وجود عقلية الصراع القائم بين الصفوف[1].

أما بالنسبة للإجراءات الأمنية التي اتخذها الأتراك العثمانيون في بلاد الزواوة فهي عديدة ومتنوعة، والغرض منها هو الحد من خطر السكان وإرغامهم على دفع الضرائب وتتمثل هذه الإجراءات في: بناء الأبراج ولقد شيد العديد منها: برج سيباو وبرج بوغني وبرج تيزي وزو وبرج منايل ووبرج دلس، وتربط بها أيضا الحاميات العسكرية المدعمة بقبائل الزمول والعبيد، والتي كانت تابعة للإدارة قائد سيباو. فقبائل بوغني مثلا، تشرف على مجموعة من القبائل منها: قشطولة وعبيد عين زاوية وآث صدقة وآث عبد المؤمن، وقسم من معاتقة، وقدرت أراضيها بحوالي 3000 هكتار[2].

أما بالنسبة لقيادة سيباو فكانت تشمل عددا من القبائل منها بني خلفون وفليسة (إفليسن أومليل) وبني ثور ودلس وآث وقنون وفليسة البحر، آث جناد وآث غوبري وقبائل أعالي سيباو، وواد الحمام وآث عيسى وآث دوالة، وآث زمنزر، وآث خليفة، وآث ترون وقسم آخر من معاتقة، وتعتبر هذه القيادة من أهم الأبراج التركية في بلاد القبائل نظرا لخضوع كل هذه القبائل إليها[3].

إلى جانب ذلك كانت أراضي البايلك المقدرة مساحتها بعشرين ألف هكتار تشغل من طرف شرق زمول عمراوة والتي كان أفرادها ينحدرون من فرسان القبائل العربية أو من أبناء منطقة الزواوة بنفسها، وهم يتوزعون على النحو التالي كما هو وارد في هذا الجدول:

---

[1]- المرجع نفسه، ص 73.

[2]- أرزقي شويتام: مرجع سابق، ص 182.

[3]-أرزقي فراد: ***المجتمع الزواوي في ظل العرف...*** ص: 42

زمالة عمراوة التحتانية	زمالة عمراوة الفوقانية
أولاد بوخالفة	كان العقاب
تيزي وزو	برج سيباو
عبيد و شملال	تورقة (ثاورقة)
إسياخن أمدور	سيدي نعمان
عبيد و شملال	تورقة (ثاورقة)
إغيل أرابح	ليتامة
	ثالة عثمان
	تيقو بعين
	تامدة

وكان قبائل عمراوة التحاتة يمثلون القوة الأساسية للعثمانيين في بلاد الزواوة، أكثر وفاء لهم على عكس عمراوة الفواقة الذين كانوا يخرجون عن طاعتهم، ويعود سبب ولاء بعضهم إلى كون أفرادها غرباء عن المنطقة من جهة، وللاستيطان بها من جهة أخرى، أما عن سبب ضعف ارتباط عمراوة الفواقة بالعثمانيين، يرجع لكون هؤلاء ينحدرون بأكملهم من قبائل المنطقة، إلى جانب ذلك لا نغفل تأثير القوى المحلية أمثال أمراء كوكو والزعامات الدينية التي كانت تنافس لعثمانيين على كسب ولاء السكان[1].

(1) **سياخن أمدور** : ضيعة فلاحية غنية بأشجارها و لها تربة متحركة بسبب مياه الشتاء ،و التسمية الصحيحة هي إسياخن أومدور بمعنى المكان الذي تنجرف منه التربة و هو ملك لرجل يدعى مدور. أنظر :قراءة نقدية من كتاب : تاريخ مدينة تيزي وزو منذ نشأتها 1954، محمد صغير فرج.

(2) أرزقي شويتام، مرجع سابق، ص ص 182 – 183

لقد أشار زيدين قاسيمي في كتابه قيادة سيباو إلى ذات الموضوع، أن هدف العثمانيين في سياستهم هذه في منطقة القبائل هو تحقيق أكبر قدر من المصالح، وكانوا يرون أن أنجح وسيلة تمكنهم من حماية المصلحة العامة هي الجمع بين وظيفة الأبراج ووظيفة القبائل المخزنية، التي كانت تلعب دورا حساسا وشائكا في مراقبة الاتصالات بين مختلف القبائل والأعراش[1].

أما محمد الصغير فرج في كتابه تاريخ تيزي وزو 1954، أكد على اهتمام العثمانيين بمنطقة الزواوة، ولقد عملوا بكل الطرق على كسب ود الزواويين، وذلك باستمالة القوى السياسية والدينية المؤثرة، والدليل على ذلك، تحالف خير الدين في بداية الأمر مع إحدى العائلات النافذة في منطقة القبائل الغربية والمتمثلة في أسرة آث القاضي[2].

إلى جانب ذلك لم يغامر الأتراك العثمانيين بإقحام جبال جرجرة، وذلك لإدراكهم لموازين القوة فيها، لم تكن لصالحهم، لذلك اكتفوا بمراقبة الأسواق والسهول. ولإخضاع سكانها فعملوا على تقسيم المنطقة إلى قسمين: القسم الأول: ملحقة بباليك قسنطينة يضم المناطق التي تقع شرقي واد الصومام والبويرة وآث ورثيلان وآث يعلى وجبال البابور(الزواوة الشرقية).أما القسم الثاني: ملحق بباليك التيطري ثم دار السلطان سنة 1770. وهو بدوره يقيم المناطق الواقعة غرب واد الصومام والزواوة الغربية[3].

ومهما كانت علاقات المخزن بالإدارة المحلية، فإن لكل واحد له نصيب من الأشياء والمعدات ونذكر منها : الحصان والبندقية و كمية من الشعير لزرعها، أما فيها يخص الضرائب فهي تجمع من قبل شيوخ عمراوة، ويبين هذا الجدول عدد من الشيوخ والقبائل التابعة لكل واحد منهم :

---

[1]–زيدين قاسمي، مرجع سابق ص ص 94 – 95

[2]– محمد صغير فرج: ***تاريخ تيزي وزو*** ، ص 34

[3]– محمد أزرقي فراد: ***الجتمع الزواوي*** ...، مرجع سابق ص 4

مكان وجود الشيخ	عددهم	القبائل الخاضعة لهم
برج سيباو	09	بني ثور– بني خلفون – بني سليجم – نزليوة
شيوخ ذراع بن خدة	05	بني عريف –أعرور
شيوخ تورقة	02	عطوش– حمامته
شيخ اولاد بوخالفة	01	بني خالفة –بترونة– قسم من معاتقة
شيخ تيزي وزو	01	بني دولة – فرديوة– بوهينون– حسناوة
شيوخ عبيد شملال	02	بني عيسى

كما يستعينون بالمرابطين، والشخصيات المؤثرة في المنطقة كما سبق أن ذكرناه في الفصل الثاني، مقابل منح هؤلاء امتيازات في المنطقة كبناء المساجد وكذا منح الهبات لزواياهم ...الخ، فهذه الظاهرة انتشرت أكثر في منطقة خوض وادي الساحل التي كان فيها تأثير القوى الدينية واسعا[1].

تذكر المصادر آنذاك أنَ العديد من المرابطين قدموا دعما لعثمانيين كمرابطين، آث زلال وآث يجر، بحيث كان هؤلاء يقدمون حمايتهم للأتراك العابرين في بلاد الزواوة، من مدينة الجزائر إلى بجاية. وفي نظير ذلك، قدم لهم الأتراك امتيازات استثنائية، كالتنازل على نصيب من الزكاة وكذا العشور المدفوعة من القبائل المحلية والدعم المالي لزوايا المنطقة ومقامات المرابطين[2].

[1] – أرزقي شويتام، مرجع سابق ص 184

[2] – المرجع نفسه، ص. 251 .

شيَد الباي محمد بن علي الذباح قبة سيدي علي أوموسى. كما تم تشييد العديد من المساجد: في كل من عرش آث فراوسن وثيقريث ناث أومالك بعرش آث يجر، وثاوريرث ميمون بآث يني، كما تم بناء قبة الشيخ محمد بن عبد الرحمان بوقبرين ومسجد يحيى بالحامة[1].

أشار حمدان خوجة بالتحديد أثناء زيارته لبلاد زواوة: ***"وعلى الرغم من عدم وجود قانون يسوون بهم خلافاتهم ويكبحون به جناحهم، وعلى الرغم من أنهم لا يقبلون الخضوع لأي سلطان فإن طاعتهم للمرابط طاعة لا يمكننا تفسيرها"*** [2].

وقد أشارت بعض المصادر التاريخية بالقول: ***إن الدولة العثمانية لا تستطيع المرور بجبال البيبان وجرجرة ، وتأخذ ضمانات وحماية المرابطين المؤثرين في المنطقة أمثال الشيخ مولود بن يحيى وشيوخ شلاطة في أيلولة"***.

لقد تغيرت العلاقة بين المرابطين والأتراك مع مرور الوقت خاصة مع بداية القرن الثامن عشر من علاقة حسنة ووطيدة إلى علاقة تنافر، وذلك بسبب اشتداد الأتراك داخل المنطقة الجبلية والتي كان سكانها خاضعين للعائلات الإقطاعية المحلية وهذا يفسر تقهقر العلاقات بين الحكم التركي والأسر ذات النفوذ التي تقوم بإشعال ثورات و تمردات طيلة بقية الحكم العثماني بالجزائر[3].

كما عمل الأتراك على إثارة الفتن بين القبائل المختلفة، حتى لا تعرقل نواياها ومساعيها بالمنطقة[4].

في جانب أخر دعمت السلطة المركزية المشيخات والأعراش القوية، بحكم أن الطابع المتميز لأرياف منطقة القبائل عامة، بعد أن هيمن عليها منذ عهد قديم وذلك بتعامل البايلك

---

[1]– أرزقي فراد : مرجع سابق ، ص 44.

[2]–حمدان خوجة : مرجع سابق، ص 18.

[3] –بومولة نبيل : مرجع سابق، ص 75.

[4] – محمد العربي الزبيري : ***تاريخ الجزائر المعاصر، ج1: 1999*** ص24 .

مع أكبر العائلات والقبائل، وذلك للمصالح المشتركة بين الطرفين، وبهذه السياسة خلق الأتراك أحلافا محلية متمثلة في العائلات الإقطاعية الكبرى من جهة وضمنوا تمرد الفئات الفقيرة، ومن جهة أخرى. فهذه السياسة ولدت ميزتين أساسيتين الأولى خلق قيادات محلية تضم عددا من القبائل التابعة للقيادة، والثانية احتكار الحكام للسلطة العسكرية والسياسية والإدارية مع منع الأهالي من المشاركة في تسيير أمور البايلك[1].

كما كان لهم إستراتيجية أخرى، تتمثل في المبادلات والمعاملات الاقتصادية مع بلاد زواوة، لأن هذه الأخيرة كانت تتمتع بخيارات طبيعية خاصة الخشبية منها، تستخدم لبناء السفن والمراكب[2].

كما كانت لهم علاقات عسكرية في البداية مع إمارة كوكو، بحيث قام خير الدين بإنشاء فرقة عسكرية من الزواوة وتدعم بذلك بالجيش الانكشاري فهذه الفرقة بالذات تضم أعضاء من كوكو وآث عباس أنشات. بعد أن منحوهم نفس الامتيازات التي كانت للانكشارية وتنصيب الأبراج العسكرية، لمواجهة تمرد السكان[3].

في ذات الصدد يقول نصر الدين سعيدوني: ***فيما يخص بناء هذه الأبراج، أن المهام الرئيسية للإدارة بالأرياف هو إبقاء قبائل الرعية خاضعة لمراقبة القياد وإشراف شيوخ وكذا شديد مراقبة الأسواق وتعزيز حراسة قبائل المخزن لطرق المواصلات ونقاط العبور وكذا احتواء تحركات التمرد التي قد تقوم بها بعض القبائل بين الحين و الأخر"*** [4].

أما زيدين قاسمي اعتبر أن هذه الأبراج لها نظام دفاعي وذلك على حد قوله ويعتمد الدفاعي على إجراءات عسكرية عاجلة مثل تجريد الحملات الفصلية المحلات. وشن الهجمات

---

[1]–سعيدوني : ***دراسات و أبحاث في تاريخ الجزائر الحديث***، ص 271 .

[2]–يحي بوعزيز : ***الموجز في تاريخ الجزائر الحديث***ة، ج.2.م.ج الجزائر 2002، ص: .160

[3] – المرجع نفس، ص 79

[4]– نصر الدين سعيدوني: ***ورقات جزائرية و أبحاث في تاريخ الجزائر في العهد العثماني***، دار الغرب الاسلامي، 2000 ص278 .

المفاجئة الغارات من فرسان المخزن وفرق اليولداش الجند الانكشاري التي كثيرا ما كانت تباغت القبائل الممتنعة عن دفع الضرائب، أو التي جاهرت بعصيانها أعلنت عداءه للبايلك ، ولقد كان لهذه السياسة المتبعة في المنطقة أثر على المجتمع المحلي، بحيث تراجع السكان إلى المناطق الداخلية فتغيرت سياسة المجتمع بين الولاء والطاعة من جهة وبين المرابطين والقبائل من جهة أخرى[1]. ومن بين أهم هذه الأبراج التي أقامها العثمانيون في المنطقة والتي لعبت أدوارا مختلفة ذكر:

- **1 : برج سيباو:**

يعتبر برج سيباو من أهم المراكز والأبراج التركية ببلاد الزواوة، يقع على سفح جبال ذراع الكروش شمال واد سيباو ويبعد حوالي 3 كلم عن تادميت و2كلم عن تيزي وزو وفي مصادر أخرى يدعى ببرج ثاورقة، فهذا الأخير يشكل نقطة التقاء بين الطرق القادمة من الجزائر وتيزي وزو ودلس ومختلف المسالك المتوجهة لمنطقة الزواوة (القبائل). ويعود انشاؤه إلى سنة 1720 على يد علي خوجة والذي أصبح بدورة أول قائد ليسباو، ويشمل هذا البرج على مدخل حوض سيباو، فكان يتحكم في مختلف طرق الاتصالات وكذلك الطرق التي تؤدي إلى مختلف الأسواق الخارجية[2] .

اعتبر المؤرخين أن توتر العلاقات بين الزواوة والسلطة التركية سببه سيباو ولقد وصفها البعض في كتاباتهم"جريمة سيباو". إلا أنهم اختلفوا في أسباب هذه الجريمة، فلقد ذكر محمد الصغير فرج أن الأتراك قد أزعجوا من تعاظم قوة حلفائهم بقيادة آث أوقاسي فلقد وصل هذا الأخير بمعية أعوان أهالي البرج وتتمثل هذه الشخصيات في:"علي الحفاف من تيزي وزو، و منصور من آث بوخالفة وثلاثة إخوة من عائلة أزواو أحمد وعلي والحسين" و هم من قرية ثيقوبعين بعرش آث واقنون[3].

---

[1] – نصر الدين سعيدوني: مرجع سابق، ص ص 278– 280.

[2]– زيدين قاسمي: مرجع سابق، ص85.

[3] – محمد الصغير فرج: مرجع سابق، ص53 .

و يضيف: ***"أن هؤلاء كانوا يدعون أسلحتهم لدى الشاوش وذلك وفق التقاليد التركية"*** والجديد بالذكر أنه عليهم الإنتظار وقت المغرب لمقابلة القايد على مائدة الإفطار، و في المقابل يتوجه الجميع إلى غرفة لتناول القهوة قبل بدا جلسة العمل ، و في تلك الفترة هوجموا من قبل الحراس و تفاجأ الجميع بذلك إلاأن أمحمد أوقاسي و أعوانه دافعوا عن أنفسهم و لقد نجح منصور و ناث بوخالفة في نزع بندقية إلا أن الأمر لم يدم طويلا و قتل على يد الحراس و لقد تمكن كل من علي بن الحفاف و علي أزواو من القرار لكن لم يحالفهم الحظ و القي القبض عليهم و اعدموا فهذه الجريمة عكرن العلاقات بين الطرفين[1].

إلى جانب ذلك نجد آن هناك بعض المصادر ذكرت سببا لأخر لهذه الجريمة أمثال جوزيف نيل روبن، فهذا الأخير أورد سببا أخر مفاده أن يحيى أغا قد خالف الاتفاق والذي يقضي باستعمال فرسان مخزن عمراوة في حدود أراضي قيادة سيباو فقط، وذلك عندما أمرهم بالسير إلى جنوب الجزائر لمحاربة شيخ الطريقة التيجانية أحمد بن سالم في بلدة عين ماضي، بسبب تحريضه لسكان غرب الجزائر ضد السلطة التركية وذلك مطلع 1818[2].

ففي ظل هذه الأحداث تغير مجرى الحياة السياسية في بلاد الزواوة حيث تمرد زعيم عمراوة الأعلى الفواقة، أحمد أوقاسي فذلك بمعية عرش آث واقنون على قيادة سيباوو، لما زحف إليه الجيش التركي صمد في وجه يحي أغا وذلك في معركة ماكودة سنة، 1819 وعلى إثر ذلك تظاهر الأتراك بنسيان ما حدث لهدف واحد ألا وهو إيقاع خصومهم والذين انخدعوا فعلا وهذه المكيدة جلبتهم إلى سيباو، فقتل على إثر هذا أمحمد أوقاسي في شهر أفريل 1820م[3].

لقد كان لقيادة سيباو صلاحيات واسعة مقارنة بالقيادات الأخرى، وكان هؤلاء يملكون حق ***"الحياة والموت"*** على حد قول ووصف روبن: ***"فالمرتكب للمخالفات تصدر في حقه أحكام***

---

(1) – محمد الصغير فرج: مرجع سابق، ص: 55

(2)- ROBIN Nil Joseph Bouchene.1999.P50/; La Grande Kabylie sous le régime Turc .Ed

2– أرزقي فراد: **المجتمع الزواوي** ... مرجع سابق، ص 48

ردعية، لكي يكون عبرة لمن يعبر فيقطع رأسه ويعرض لمدة يومين على باب البرج وبعد ذلك يرمى في حفرة تدعى بحفرة يزيد، وهي على بعد 500 متر من الحصن المجاور لسيباو" [1].

2- : برج بوغني:

كان تابعا لقيادة سيباو، و سمي على هذا الاسم نسبة للمكان الذي انشأ فيه "**أقني**"، هو السهل الذي يقع في كل مكان عال بين الجبال. ويعود تاريخ بناء هذا البرج إلى نفس الفترة التاريخية (1136هـ/1724). وكان قائد بوغني يشرف على مجموعة من القبائل منها: قشطولة، وآث صدقة، وآث عبد المؤمن وقسم من معاتقة وكان فرق الزمول و عبيد عين الزاوية، تستغل الأراضي الواقعة بالقرب من برج بوغني[2].

3- برج إمناين (منايل):

يعتبر هذا البرج من أهم الأبراج التركية في بلاد الزواوة، ومصطلح "مناين"، تعني الفرسان، ويعد هذا البرج الأقدم في المنطقة تأسس في سنة 1003هـ- 1594، فقد قام بموجبه حماية سهول يسر من الهجومات المختلفة و المتكررة على مدينة الجزائر. بعد تأسيس البرج سيباوو أصبح تابعا له وجعل مقرا لإقامة وكيل الخرج العثماني المكلف بالإشراف على أراضي البايلك[3].

4 - برج تيزي وزو:

يتواجد هذا البرج على الطريق الأساسي المؤدي إلى تيزي وزو، وهو قريب من الزمالة. فقد قام قائد سيباو محمدعلي الفيريرا (الذباح) الذي حالفه حسين عثمان خوجة عام 1150هـ-

---

[1]زيدين قاسمي: مرجع سابق ص 89

[2]- أرزقي شوتيام: ***المجتمع الجزائري***... مرجع سابق، ص 182

[3]- زيدين قاسمي، مرجع سابق،ص91.

1737، بتوسيع برج تيزي وزو وإعادة بناء برج ثازاغارث، الذي يقع بين ثالة عثمان وعبيد شملال، قام سكان واقنون بهدمه تام 1716، وكان يحتوي على ثلاث صفرات[1].

ومن بين الاستراتجيات الممارسة من قبل الأتراك في المنطقة محاولة هؤلاء التحكم في الأسواق الموسمية والأسبوعية، لقد سعى الأتراك إلى السيطرة عليها وذلك لكونها فضاءات سياسية واجتماعية وتجمعات اقتصادية داخل بلاد الزواوة. فلكل سوق نظامه الخاص به، وحسب أعراف عرشه أيضا، وهذا السعي وصل بهم لدرجة التحكم في مقتصدي هذه الأسواق، كما فرضوا أيضا غرامة بنسبة 10% من البضاعة، ويستعين القائد بمجموعة من فرسان المخزن وذلك من أجل بسط النفوذ فيها[2].

ثانيا: استراتجيات الأتراك في المنطقة:

لقد اتبعت السلطة المركزية هذه الوسيلة خصوصا في المناطق السهلية وقامت بتقسيم البلاد إلى بيالك وأوطان وقرى وقبائل، والتي انقسمت بدورها إلى قبائل رعية وقبائل متحالفة و أخري ممتنعة. لكن مهما اختلفت التسميات فإنها في نظرنا كلها قبائل رعية، والاختلاف يكمن فقط في درجة خضوعها للسلطة المركزية. وكانت حلقة وصل بين الأهالي والحاكم[3].

فبالنسبة للقبائل الرعية، خضعت مباشرة للسلطة التركية وكثيرا ما يتورع الحكام في اضطهادها، أما قبائل الأحلاف فلقد اعتمدت على نفوذها الديني وكفاءتها وكذا نسبها الشريف لحكم منطقتها. كان لهذه القبائل تصرف داخلي. لم تكن يوما من الأيام تحت حكم الأتراك، فسيطرتها على ثلثي بيالك الشرق، دفع بالبايات بالاعتراف بشيوخها ومرابطها وأعيانها[4].

---

[1]–زيدين قاسمي: مرجع سابق، ص 92

[2] – سعيدوني والبوعبدلي: مرجع سابق، ص 110

[3]–سعيدوني نصر الدين: **دور قبائل المخزن في تدعيم الحكم التركي بالجزائر** – مجلة الأصالة ع 32–1976 ص 68

[4] – نبيل بومولة: مرجع سابق، ص 84

ظلت قبائل جرجرة ممتنعة عن أيدي الحكام فالتعامل معهم، كان عن طريق العائلات النافذة وشيوخ الزوايا والمرابطين أو ما يسمى أيضا بالسلطة الروحية. وتميزت هذه الأخيرة بامتناعها عن دفع الضرائب وعدم اعترافها بالسلطة الحاكمة[1].

نجح الأتراك العثمانيين في استمالة الكثير من القبائل، والتحالف معهم[2]، فتحالفوا مع قبيلة "عمراوة"، لجأ هؤلاء للعثمانيين بسبب تمرد مختلف القبائل وكذلك لكونهم قطاع طرق وفي المقابل ملكوا للأتراك قطعا أرضية لاستغلالها، مقابل أداء خدمات ضمن قبائل المخزن أو ما يسمى أيضا بقبائل الزمول[3].

وكان قبيلة "آث أوقاسي" (عمراوة العليا) في تامدة، تشرف على العديد من المناطق المجاورة أمثال: بوخالفة وعبيد شملال وثيميزار لغبار وثالا عثمان ...الخ. عرفت هذه المنطقة بتنظيمها للأسواق في كل مرة العثمانيين، من أجل التحكم في الأسواق التضييق على هذه القبائل[4].

1- إتباع سياسة المصاهرة:

لقد حاول الأتراك العثمانيين إقحام المرأة كوسيلة للتحالف من أجل أغراض سياسية فهذه السياسة لم تكن وليدة القرن الثامن عشر، بل تعود بوادرها إلى العقود الأولى من التواجد العثماني بالجزائر[5]. بعد رفض عبد العزيز آث عباس المصاهرة مع حسن باشا بن خير الدين، اتجه إلى عائلة آث القاضي وهو بمثابة العدو اللدود لعائلة عبد العزيز ولقد لبي طلبه وتزوج التركي ابنة صاحب كوكو[6].

2- تعيين محمد بن علي الملقب بالذباح حاكما على المنطقة:

---

[1]- سعيدوني والبوعبدلي: المرجع السابق، ص 108-109.

[2] – نيل بومولة: مرجع سابق، ص 84 .

[3] – زيدين قاسمي، مرجع سابق، ص ص 96-97.

[4] – نفس المرجع: ص ص 98- 99.

[5]- نبيل بومولة: مرجع سابق، ص ص 84-85.

[6] – محمد الصغير فراج : مرجع سابق، ص 99.

يعد محمد بن علي المدعو بالذباح أشهر شخصية تركية برزت بعد علي خوجة وهو من مواليد البليدة، ترعرع وكبر في بلاد الزواوة، فلقد درس في زاوية آث أعمر بقرية عدني ذات الأصل التركي وأنقل بعدها إلى زاوية الشيخ أعراب بعرش آث ايرثن إلى أن عين على رأس قيادة سيباو ورقي إلى منصب باي التيطري خلال الفترة الممتدة ما بين 1745-1754.

حاول الذباح بحكم معرفته للمنطقة وترعرعه فيها، أن يكسب ثقة سكانها لذلك أقدم على طلب الزواج من إحدى بنات عائلة بوخنتوش وبالفعل كان له ذلك وحقق مبتغاه، ومع مرور الوقت تغيرت الأوضاع بين العائلتين، فعلى الرغم من رابطة المصاهرة إلا أن هذا لم يمنع من حدوث اضطرابات ومناوشات بين الطرفين، فأمام شراسة الذباح و شخصيته القوية اضطر بوخنتوش التمرد عليه و ذلك بالانضمام إلى القبائل الثائرة. وتمكن عرش آث إيراثن من القضاء على الباي محمد مطلع عام 1754. نقلت جثته إلى بودواو لوجود أملاكه هناك، أما بالنسبة لزوجته الزواوية فلقد تزوجها سي شريف بوطوش أحد أعيان عرش آث يتسورغ بجرجرة[1].

فهذه النهاية كانت محزنة وأثرت في نفوس الزواويين، ولقد وصفها محمد أرزقي فراد قائلا : ***"كانت لهده النهاية المأسوية للباي محمد الذباح تداعيات خطيرة على وجود الأتراك في بلاد الزواوة، ولقد تمردت قبائل عديدة ضد الأتراك خاصة فليسة أوملیل وبوغني في 16 جويلية ،1756 فقد هاجم هؤلاء الأهالي برج بوغني وقتلوا قائده أحمد وطردوا حاميته، وهدم البرج بأكمله"*** [2].

ثالثا: ردود فعل سكان الزواوة:

لقد سئم الزواويين من الحملات المتكررة على المنطقة، وبعد مقتل محمد بن علي الذباح، فقامت عدة ثورات محلية خلال القرن الثامن عشر بصفة خاصة:

1- ثورة فليسة الأولى :

---

[1] -محمد أرزقي فراد: ***المجتمع الزواوي***... ، مرجع سابق، ص ص44-45 .

[2] – المرجع نفسه : ص 45 .

هذه الثورة كانت قبل موت محمد بن علي الذباح، قامت القبائل الشمالية القريبة من الساحل بإضراب عام 1752م، بسبب استدعاء محمد بن علي إلى دار السلطان وبقيت القيادة في فراغ سياسي دون حاكم. في عام 1753م، بعد عودته وبدعم من الحكومة المركزية، جدد الكرة على آث جناد، فطلبت هذه الأخيرة منه الآمان بعد مفاوضات جرت بين الطرفين ورحب بذلك. الذي زاد الطين بلة هو الأحداث التي جرت بعد موت محمد الذباح[1].

لم تتوقف قبائل المنطقة بعد مقتله، بل راحت تهاجم الأبراج الأخرى، وأخذت تهدد المصالح الحيوية للإيالة، ويذكر محمد شريف الزهار أن افليسن هزموا الحملتين الأولى والثانية اللتين أرسلهما الداي حسين سنة إلى المنطقة عام 1767م، ولم يتسن له إخضاعهم إلا بعد تعاقب سبع حملات لاحقتهم إلى جبالهم، وعلى إثر ذلك قتل العديد من الأشخاص ومن كلا الطرفين حتى طلب السكان الأمان والسلم[2].

2- ثورة فليسة الثانية:

وقعت بموجب الأحداث التي جرت بعد مقتل محمد بن الذباح، أعلنت قبائل فليسة ثورة كبيرة 1767م، فعمت كل بلاد الزواوة، ومن نتائج هذه الثورة مقتل ثلاث مائة جندي عثماني، ففي ظل هذه الاضطرابات والضحايا قام الداي بحملة قادها من الجزائر **الآغا سي واعلي** وذلك لمعرفته لكل المناطق الداخلية وطرقها ومقراها[3].

وتذكر المصادر أنه في عام 1772م، قام باي التيطري باحتواء ثورة فليسة، فأقدم على قيادة حملة ضدهم، مغتنما بذلك حالة الأوضاع الداخلية والاضطرابات التي كانت بين فليسة ومعاتقة، ولكن استعانة فليسة بغيرها من القبائل رجح الكفة لصالحها، ولقد راح ضحية هذه المغامرة عدد كبير من المشاركين فيها بما فيها قائد الحملة باي التيطري، وبعد 27 عاما (1799)، تغيرت الأوضاع بين منطقة الزواوة ودار السلطان بعد المعاهدة التي أبرمت بين

---

(1) – زيدين قاسمي : صص 104 – 105.

(2) –.أحمد شريف الزهار: **مذكرات نقيب الأشراف** ، ص 28.

(3)- زيدين قاسمي: مرجع سابق، ص 108

الحاج محمد بن زعموم[1] قائد قبيلة فليسة، فلقد اعترف باسم فليسة بالعثمانيين وتحصلوا على إثر ذلك على نصف ما كانوا يفرض عليهم دفعه من الجباية نظير هذا التصالح الذي جرى بينهم[(2)].

3- ثورة فليسة الثالثة:

حدثت هذه الثورة مطلع القرن التاسع عشر، كانت بمثابة ردة فعل علاء محمد بن كانون الذي كان وراء إمضاء تلك المعاهدة بين الأتراك والقبائل، فآث فليسة عزموا على قطع الطريق أمامه، فعلم هذا الأخير بذلك وفر هاربا إلى برج منايل مع بقية من جنده، وبذلك تمكن من إبعاد فليسة عن معقله الجديد، فعمل بعد ذلك على تنظيم دفاعه خشية منه على وقوع أي خطر قد يهدد حياته[(3)].

لم تكن فليسة الوحيدة التي لها رد فعل على الأوضاع والتدخلات التركية في بلاد الزواوة، بل كان لقبائل أث صدقة وقشتولة نصيب من ردات الفعل، فلقد أقدم هؤلاء على مهاجمة الحامية العثمانية المتواجدة في برج بوغني، حيث دامت مدة حصرها أيام وأسابيع فطلب الأتراك المساعدة من المرابطين المتواجدين في المنطقة و أخرجوهم من البرج قبل أن تدمره القبائل المختلفة، هناك حملات أخرى كحملة يحيى أغا التي كانت سنة 1819م، والتي جرت في قبيلة آث أوقاسي بتامدة.

هذه الثورة حدثت بعد عودة يحيى آغا من الجنوب بمهاجمة آث أوقاسي بتامدة ، لكن لم تحقق انتصارات وتراجع هذا الأخير إلى سهول سيباو، فانتصرت قبائل آث أوقاسي وواقنون عليه، فأدرك هؤلاء المنتصرين أن هذا الانتصار سيكون له أثر على سياسة القيادة المحلية

1- هو زعيم قبيلة أفليسن أومليل العريقة والكبيرة حيث تمتد من ذراع الميزان إلى برج منايل, فهي تمدد من الجبال إلى السهول, على ضفتي واد سيباو وهو من رواد المقاومة الشعبية, حيث بادر إلى صد أول محاولة توغل للجيش الفرنسي خارج مدينة الجزائر. كما كان بارعا في الخطابة والتحفيز والإقناع وكان عمره يوم تزعم المقاومة الشعبية 70 عاما، أنظر: التاريخ بالأدلة والوثائق، https://elmafatih.com

(2)- زيدين قاسمي: مرجع سابق، ص 109.

(3) – المرجع نفسه، ص 110.

(سيباو) من جهة، وعلى نظرة الإيالة من جهة أخرى، أما يحيى آغا لم تعجبه هذه الهزيمة فأمر بقتل محمد أوقاسي بعمراوة. كانت نتيجة ذلك أن ثارت كل القبائل المختلفة لاسيما آث جناد الذين قضوا على زمالة مقلع وأحرقوها عن آخرها[1].

في عام 1823، أقدم يحيى آغا على إعادة ترميم برج بوغني المدمر. ونجح في بناء برج جديد غير بعيد عن الأول بمساعدة القبائل، وحصل على الأمان آث أوقاسي. فأعاد بناء قيادة مقلع وتنظيمها وفي عام ،1825 قاد حملة من الجزائر بدعم من قبيلة فليسة البحر وقبائل المخزن ضد قبائل آث واقنون وآث جناد ففرض سيطرته عليهم، وكان عدد ضحايا هذه الحملة ثلاث مائة شخص، فلم تهدأ الأوضاع إلى أن اختار يحيى آغا سياسة التحاور والتفاوض مع هذه القبائل الثائرة[2].

كل هذه الظروف في منطقة الزواوة قد انعكست سلبا عليها، حيث ذكر وليام شالر في مذكراته: ***أن الثورات العارمة التي حدثت 1825-1835، قد انعكست على المنطقة في كل الجوانب، و حتى على الذين كانوا يعملون في مدينة الجزائر، حيث أن العثمانيين كانوا يخشون من مساهمة هؤلاء فيها أو اطلاعهم على مجرى كل تلك الأحداث، فأقدمت على أخذهم كرهائن عندها، زيادة على ذلك أقدمت بمطالبة قناصل الأجانب بتسليم سكان القبائل العاملين لديهم وكانت هذه السياسة محل خصام بين الطرفين***"[3].

إلى جانب ما ذكرناه سابقا حول إستراتجية الأتراك في بلاد الزواوة ومحاولات هؤلاء لاستمالة هذه القبائل وكل تلك الحروب، إلا أن هذا لا ينفي وجود علاقة تقارب جمعت بين الطرفين، برز ذلك في دور الزواوة في الجهاد البحري.

---

[1] – زيدين قاسيمي: مرجع سابق، نفسه، ص ص 111 – 113 .

[2] – المرجع نفسه ، ص ص 113-114 .

[3] – وليام شالر: مرجع سابق، ص 117 .

رابعا: دور الزواوة في الجهاد البحري:

لقد اشتهر الزواوة منذ تاريخهم بحبهم للجندية، فكانوا يشكلون وزنا لا يستهان به في الجيوش التركية سواء البرية منها أو البحرية، ومساهمتهم في الجهاد البحري ضمن أسطول إيالة الجزائر إلى درجة وقوع العديد منهم أسرى على يد الأسبان، فكان حال هؤلاء السجن لمدة طويلة ولم يطلق سراحهم إلا بعد اتفاق الحكومتين الجزائرية والإسبانية سنة 1767[1].

استطاع هؤلاء البحارة الزواويين أن يتولوا مناصب القيادة العليا في الأسطول الجزائري، ومن أشهرهم **الرايس حميدوا**[2]، قائد الأسطول الجزائري والذي أستشهد في معركة بحرية جرت بين الأسطولين الجزائري والأمريكي غير بعيد عن الحدود الاسبانية في 17 جوان 1815[3].

رغم طابع التوتر الذي كان يميز العلاقات بين الزواوة والأتراك إلا أن هذا لم يمنع من توحدهم في صف واحد في أواخر العهد العثماني بالجزائر، ففي ظل التحرشات الأوروبية خاصة الفرنسية منها على مدينة الجزائر، فلقد عمل الداي حسين على دعم قواته الدفاعية فاستنجد بالزواوة، وذلك لشجاعتهم وتفانيهم في رفع راية الجهاد، فأرسل إلى عرش آث إيراثن المعروفين بالبطولات والأمجاد لمقابلة العدوان الفرنسي، وعلى إثر ذلك دعا المرابطون الأشراف الزواويين إلى ضرورة تناسي الأحقاد والوقوف إلى جانب الأتراك من أجل التصدي للإحتلال الفرنسي، فلبوا الطلب، وانضموا إليهم، فالزوايا لعبت دورا رئيسيا في تجنيد المتطوعين اللذين قدر عددهم بـ25 ألف ما يعادل 50% من قوات الداي التي شاركت في معركة السطاوالي[4].

إن الأتراك العثمانيين سعوا منذ وصولهم إلى بلاد زواوة، لكسب ود وثقة المجتمع الزواوي، فاعتمدوا مجموعة من الاستراتجيات، بداية بتقسم المنطقة إلى قبائل مخزنية وقبائل

---

[1] – أرزقي فراد : **المجتمع الزواوي** ... مرجع سابق، ص 48 .

[2] - **الرايس حميدوا بن علي** : بحارة جزائري و أسطورة بحرية (1770–1815)، التحق بالبحرية في عمر صغير استطاع في فترة بسيطة أن يتحصل على رتبة أمير بحر ، كون الأسطول الجزائري ،ذاع صيته بسبب بطولاته إلى أن وافته المنية مطلع 1815.com/almarsal/ www

[3] – وليام سبنسر: مرجع سابق، ص 61 .

[4] – أرزقي فراد، مرجع سابق، ص ص 48 – 50

رعية، كما استعانوا بالقوى الدينية وشيوخ القبائل كالمرابطين، كما أقدموا على تشجيع الفتن وإذكاء الصراع بين القبائل عن طريق تدعيم المشيخات ومناصرة الأعراش القوية.

وفي الوقت نفسه فتحت الدولة العثمانية باب التعامل الاقتصادي والعسكري بداية من عهد إمارة كوكو، وتمكنت من مراقبة الأسواق المتواجدة بالمنطقة وتحكمت حتى في الأسبوعية منها، كما لم يغفل الأتراك عن جمع الضرائب المختلفة.

فالمهام الرئيسية للإدارة بالأرياف كانت تقتصر على هذا الشأن زيادة إلى إبقاء القبائل خاضعة لمراقبة القياد وإشراف الشيوخ، ولتحصين من خطر زواوة لجئوا إلى بناء الأبراج والمراكز العسكرية، فكان برج سيباو من بين أهم الحصون التركية بالمنطقة.

لم يقبل معظم قبائل الزواوة الخضوع، فقاموا بالعديد من الثورات للدفاع عن أراضيهم وأملاكهم، خاصة قبائل إفليسن البر(قبيلة أث جناد). لكن رغم التوترات اتحد الطرفان في أواخر العهد العثماني للتصدي للاستعمار الفرنسي وتناسوا بذلك الأحقاد الماضية بمباركة المرابطين فهذه المواقف بينت لنا مدى تمسك الزواويين ببلادهم وتضحيتهم من أجله وكذا محافظتهم على هويتهم رغم كل تلك الظروف .

خاتمة

من خلال دراستنا لموضوع: ***"التنظيم الاجتماعي في بلاد الزواوة أواخر العهد العثماني 1749-1830م"***، يمكن أن نقول بأن المجتمع الزواوي كان أكثر المجتمعات تنظيما وانسجاما واستقرارا وقوة في هذه الفترة رغم الأزمات والصراعات السياسية والثورات المحلية.

فقد تمكن المجتمع الزواوي من ضمان الحماية الاستقرار لأفراده بفضل تمسكهم، بالمؤسسات العرفية المتكون منه والقيم الانسانية المبنية على الاحترام والكرامة والانسانية.

وشكلت التنظيمات الاجتماعية المختلفة مؤسسات المنطقة بداية من القرية، التي تمثل وحدة سياسية وقانونية واجتماعية تتألف من عدة تجمعات أسرية (إذرما)، وتتكون من مؤسسات وتشريعات خاصة، ذات هياكل مختلفة حسب عدد منازلها أو أسرها.

واشتهرت قرى القبائل بحسن التنظيم منذ القدم في إطار نظام "تاجماعث" أو "الجماعة". وهي وحدة سياسية واجتماعية منفردة، تشكل الهيئة التقليدية للمجموعات الأهلية وهي السلطة الحاكمة الواحدة في القرية تجمع في آن واحد السلطتين السياسية (الإدارية) والقضائية، وتتميز قراراتها بطابع السيادة.

ويمثل العرش والقبيلة الخلية الاجتماعية والسياسية والاقتصادية ذات الفعالية القوية في مصير البلاد خاصة في فترة الحرب، علما أن المنطقة مهددة باستمرار. لذلك تشكلت الأحلاف الدفاعية المعروفة بالصفوف، والصف بمثابة خط هجومي ودفاعي تجتمع حوله القبائل، يعد هذا التجمع من القواعد التي تشكلت على أساسها المنظمة الاجتماعية القبائلية منذ القدم ورابطة أخوية قانونها الأساسي الوفاء والإخلاص.

ومن العوامل التي ساهمت في قوة ووحدة زواوة المؤسسات الدينية والقيم الوحية والاجتماعية التي انبثق منها العرف، لحماية المظلوم والفقير والشيخ وكل الأفراد المعزولين في المجتمع. يشكل المرابطون فئة اجتماعية أساسية ومميزة في المجتمع الزواوي ويمثلون طبقة علماء الدين المصلحين، مثقفين بثقافة إسلامية يتقنون العربية يقومون بالإصلاح

والتوجيه وفك النزاعات بين القبائل المختلفة، وتسند إليهم مهمة تدريس الدين الإسلامي في الزوايا.

تمثل الزاوية إحدى المؤسسات الفعالة في المجتمع، فهي بمثابة مؤسسة دينية واجتماعية وتربوية، ومدرسة تقدم فيها دروس دينية وفقهية وتعليم القراءة والكتابة بالعربية والحساب والفلك، ويتولى المعلم إدارة فرع واحد من بين فروع في الزاوية. ومؤسسة تربوية مفتوحة للجميع.

كرس كل مبدأ الحماية أو العناية وثويزي ولوزيعة (ثمشريط) أهم القيم الانسانية التي ينفرد بها المجتمع الزواوي من أجل توفير الأمن لكل إنسان ضعيف ضقت عليه الأمور، ولتحقيق نوع من العدالة الاجتماعية بسبب الطبقية وظاهرة الفقر التي تعاني منها معظم قبائل المنطقة.

لكن لا ننفي وجود جوانب سلبية كظاهرة الثأر المنتشرة التي تقضي بقتل القاتل والمتعدي على الحرمات، والحروب المزمنة التي باتت تهديد باستمرار استقرار المنطقة.

وبوصول الأتراك ستدخل المنطقة مرحلة جديدة في تاريخها، كون الزواوي يرفض الخضوع والقيود، وتميزَت العلاقات الزواوية التركية باضطراب رغم وجود فترات قصيرة من الهدنة. وأدركت الإدارة المركزية خطورة الدخول في صراع دائم معها، لذلك أوجدت استراتيجيات لتمزيق البنية الاجتماعية الصلبة عن طريق الدخلاء (قبائل المخزن، قبائل زمول، العبيد...). وفرض ضرائب متنوعة، إلاَ أن إقاواون قاوموها بشدة.

وأخيرا يمكن القول بأن بفضل صلابة البنية الاجتماعية الزواوية تمكنت من الحفاظ على هويتها عبر العصور، رغم المخاطر الدائمة التي تهددها باستمرار.

الملحق رقم (01): مخطوط سيرة زواوة. [1]

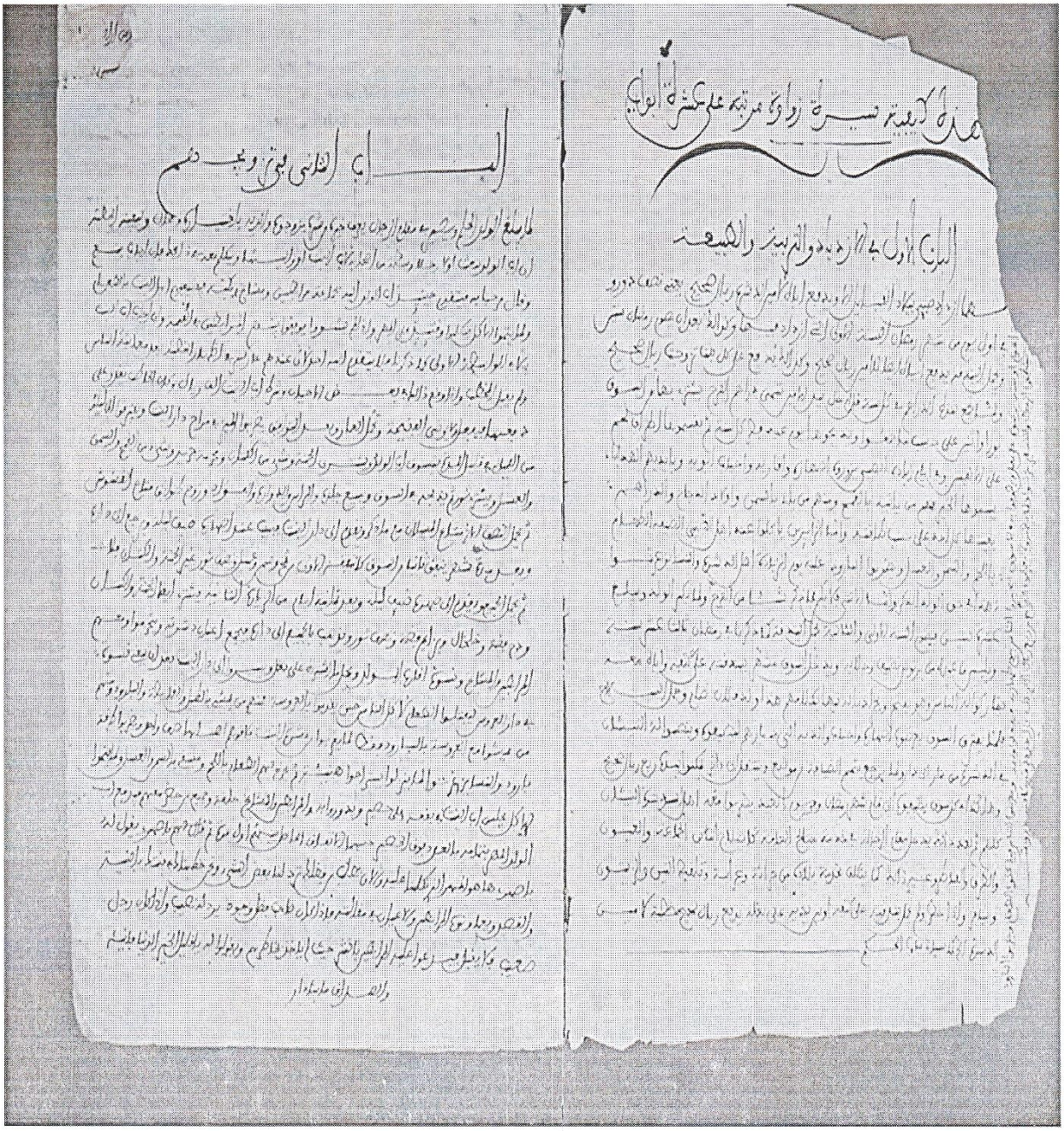

[1]- مجهول: سيرة زواوة، مخطوط بالمكتبة الوطنية الجزائرية، تحت رقم 3012.

الملحق رقم (02) : خريطة القبائل وأهم قبائلها[1]

(1) -علي بن شيخ: المرجع السابق، ص315.

الملحق رقم :(03) خريطة أراضي قبائل المخزن بالجزائر[1]

[1] - ناصر الدين سعيدوني: الملكية والجباية في الجزائر أثناء العهد العثماني، المرجع السابق، ص 229.

الملحق رقم :(04) وثيقة حرمان المرأة من الميراث : مداولة عام1749.

الحمد لله وصلى الله على محمد المصطفى عونك يا كريم . هذه نسخة رسم نقلت لمس الحاجة إلى ذلك خوف اندراسها وذهاب ما فيها وتبديل الحالة. الحمد لله وحده والأمر كله له وصلى الله على من لا نبي بعده. بعد السلام على من يقف على كتابنا ولما انم أراد الله تعالى بقدرته وإرادته بعمارة سوق السبت المنسوب لبني واسيف فاجتمعوا هناك سادات بني بترون مع عدول أهل قراهم وإمام مسجد نحمامث فاشتكى كل واحد بما يضره وما يؤول الفتنة والتهازيج والمشاجرة في القرى والاعراش وقبيلة جرون حضروا من كل قرية فاتفقوا على كلمة واحدة بأن الميراث وشفعة الحبس وشفعة البنات والأخوات واليتامى وصداق المرأة إن طلقها زوجها أو مات عنها مسقط في بني بترون ومن اتصل معهم فاتفقوا على اتفاق واحد ومن أراد إحداث هذه الأمور فهو جور والجور منهى عنه لأن حكم العرف والعادة لا يخرقان ولا ينقصان كحكم السلطان ومن أراد الإنقاض والإخراق لما سطرنا فهو مسبب في هموم الأناس والفتن نار لقوله عليه الصلاة والسلام الفتنة نار لعن الله واقدها ورحم خامدها ومن أراد هتك حرمة ما سطرنا ادقه الله بالذل والفقر والجوع و الإهانة في الدنيا والآخرة في زماننا وزمان ذريتنا خلفا عن سلف ومن لم يتبع ما سطرنا من السادات وكبراء القرى دخل في الدعة الأولى فالله يحاسبه ويسايله فقالوا كل من حضر آمين آمين آمين فبعد ذلك قيدت ما حضر من السادات والكبراء منهم الشريف المكرم سيدي لونيس الساكن في ثجمونين ومن عدول قريته قاسي بن علي واحمد أمزيان و بلقاسم بن لعلام و امحمد بن بالعباس وأما ما حضر من قرية تروال 184 الشريف المكرم سيدي احمد الزروق ومثله سيدي الصادق والعدل المرضي الحسين بن سالم... وغير ذلك فلا نطيل بذكرهم وكل ما سطرنا من السادات و العدول أمروا إسقاط ما ذكرنا آنفا ومن أراد خلاف ذلك خلفا عن سلف فالله يحاسبه ويسايله.

و السلام ما وجدنا في الأصل قد انتهى وكاتب المنقول السيد العالم الرشيد سيدي احمد بن سيدي عمر بن يحي تاريخه عام. 1162 وناقلها للعذر المشار إليه الفضيل نجل احمد بن عبد القادر بن عمر الواسقي عرشا تاب الله عليه وأصلح قوله وعمله امين عام 1225عرفنا خيره ووقانا ضره آمين فمن الشهود الحاضرين للنقل السيد العالم الرشيد سيدي المختار بن عبد الملك البوعبد الرحماني فطنا...والسلام من المسمى نفسه داخل الأصل انتهى.[1]

[1]- شابحة بن تونس مخلوف: **المواجهة الاجتماعية بين المرابطين والقبائل في منطقة القبائل**، رسالة ماجيستير في علم النفس الاجتماعي، تحت اشراف مظهر سليمان، ديسمبر1998 ، ص195.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع:

باللغة العربية

المصادر:

1. حمدان بن عثمان خوجة :"المرآة" ، تقديم وتعريب وتحقيق محمد العربي الزبيري منشورات ANEP ، 2005

2. حمدان بن عثمان خوجة: لمحة تاريخية وإحصائية الإيالة الجزائر، تحقيق وتعريب محمد العربي الزبيري، (ش. و. ن. ت)، الجزائر، 1975.

3. شارل وليام: مذكرات وليام شالر، تعريب إسماعيل العربي، ش. و. ن. ت، الجزائر 2002.

4. مجهول: سيرة زواوة، مخطوط بالمكتبة الوطنية الجزائرية، تحت رقم 3012 .

وليام سبنسر: الجزائر في عهد رياس البحر، تعريب وتقديم عبد القادر الزبدية، ش. و. ن. ت، الجزائر، 1980

5. الورثلاني الحسن: نزهة الأنظار، تحقيق محمد بن أبي شنب، مطبعة بيروت فونتانة الجزائر.

المراجع:

6. أ. هانوتو. أ. لوتورنو: منطقة القبائل والأعراف القبائلية، ترجمة مخلوف عبد الحميد ج2، تيزي وزو، 2013.

7. بوعزيز يحي: المجز في تاريخ الجزائر الحديثة، ج2، م. ج، الجزائر، 2002.

8. بوعزيز يحي: ثورات القرن 19-20، د. ط، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر 2009.

9. الجرجاني محمد علي: معجم التعريفات، تحقيق م. صديقي المنشاوي، القاهرة 2004.

10. حبيب إبراهيم الخليلي: مدخل للعلوم القانونية، دوان المطبوعات الجامعية الجزائر، ط8، 2005.

11. سعد الله أبو القاسم: تاريخ الجزائر الثقافي 1800- 1830. ج1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998.

12. سعيدوني نصر الدين: دور قبائل المخزن في تدعيم الحكم التركي في الجزائر مجلة الأصلة، ع. 32-1976.

13. سعيدوني نصر الدين: ورقات جزائرية وأبحاث في تاريخ الجزائر في العهد العثماني، دار الغرب الإسلامي، 2000.

14. العقبي مؤيد صلاح: الطرق الصوفية والزوايا بالجزائر، تاريخها ونشاطها، دار البراق، لبنان، بيروت، ب. س. ن.

15. علي بطاش: لمحة عن تاريخ منطقة القبائل، حياة الشيخ الحداد وثورة 1871 ط2، دار الأمل، الزيتونة، 2007.

16. علي خنتوف: السلطة في الأرياف الشمالية لبايلك الشرق الجزائري نهاية العهد العثماني وبداية العهد الفرنسي، مطبعة الناصر، الجزائر، 1999.

17. فراج الصغير محمد: تاريخ تيزي وزو منذ نشأتها حتى سنة 1954، تعريب زمولي موسى، د. ط، منشورات ثالثة، الجزائر، 2007.

18. فراد محمد أزرقي: أزفون تاريخ وثقافة، ط1، دار الأمل، الجزائر، 2003.

19. فراد محمد أزرقي: إطلالة على منطقة القبائل، د. ط، دار الأمل، الجزائر 2007.

20. فرج الصغير محمد: تاريخ تيزي وزو من نشأتها حتى سنة 1954، ترجمة موسى زمولي، منشورات زرياب، الجزائر، 2002.

21. قاسمي زيدين: قيادة سيباو وتاريخ منطقة القبائل في العهد العثماني وبداية الاحتلال الفرنسي، دار الأمل، الجزائر، 2009.

22. مالتيسان فون هاينريش :ثلاث سنوات في شمال إفريقيا ، ترجمة أبوا العيد دودو(ش-و-ن-ت)،الجزائر ،1979.

23. المدني أحمد توفقي: كتاب الجزائر، مج 8، طبعة خاصة بوزارة المجاهدين، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2010.

24. معصر عبد الله: تقريب معجم مصطلحات الفقه الملكي، دار الكتب العلمية، بيروت

25. ملويا أث حسين: القانون العرفي الامازيغي، دار الخلدونية للنشر والتوزيع الجزائر، 2007.

26. يسلي مقران: الحركة الدنية والإصلاحية في منطقة القبائل (1920-1954)، د. ط، دار الأمل، الجزائر، 2005.

الأطروحات:

27. إسماعيل خنفوق: دور الطرق الصوفية في منطقة الأوراس 1844-1931، رسالة ماجستير في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر، كلية الأدب والعلوم الإنسانية، قسم التاريخ وعلم الأثار، الجزائر 2010-2011.

28. بودريعة ياسين: أوقاف الأضرحة والزوايا بمدينة الجزائر وضواحيها خلال العهد العثماني من خلال المحاكم الشرعية وسجلات بيت المال والبايلك، مذكرة لنيل شهادة الماجيستر، تخصص تاريخ حديث1519-1830، قسم التاريخ، جامعة الجزائر، 2006-2007.

29. بولجنت كيسة: العادات والتقاليد في بلاد الزواوة ما بين القرنين 17-19، مذكرة لنيل شهادة الماجستير، 2009-2010.

30. حسين الحاج مزهورة : الحالة المدنية :آلية من آليات الهيمنة الاستعمارية في الجزائر:حالة منطقة القبائل :جرجرة من 1891إلى 1962 ،أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث و المعاصر ،الجزائر 2014-2015.

31. ردواني حياة، سعدودي مليكة: الاحتلال الفرنسي في منطقة القبائل (1844-1857)، مذكرة لنيل شهادة ليسانس في التاريخ المعاصر، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة مولود معمري، تيزي وزو، 2014-2015.

32. ساحي أحمد: زواوة من القرن 16-18، عهد الإمارة (1512-1767) رسالة ماجستير، تحت إشراف مولاي بن حميسي.

33. شابحة بن تونس مخلوف: المواجهة الاجتماعية بين المرابطين والقبائل في منطقة القبائل، رسالة ماجيستير في علم النفس الاجتماعي تحت اشراف مظهر سليمان ديسمبر 1998.

34. شويتام أرزقي: المجتمع الجزائري وفعاليته في العهد العثمان 1519-1830، رسالة لنيل شهادة الدكتوره في التاريخ الحديث والمعاصر، 2005-2006.

35. قاسيمي الحسني عبد المنعم: الطريقة الخلواتية الرحمانية، الأصول والأثار منذ ظهورها إلى غاية الحرب العالمية الأولى، رسالة لنيل شهادة الدوكتوره في العلوم الإسلامية، تخصص عقيدة، جامعة الجزائر، 2008-2009.

36. مزيان سعيدي: السياسة الاستعمارية الفرنسية في منطقة القبائل وموقف السكان منها 1871- 1914، أطروحة دوكتوراه، كلية العلوم الإنسانية، قسم التاريخ، الجزائر 2009.

باللغة الفرنسية:

مراجع:

37. BOULIFA SI AMER : Le Djurdjura à travers l'histoire, Berti. Ed.

38. CAMILLE LACOSTE DUJARDIN : Dictionnaire de la culture Berber en Kabylie, Edition la découverte, Paris, 2005.

39. ERNEST REMAN : La société Berber, Revu des deux monde 1873.

40. EUGENE DOUMAS : La Kabylie, préface Dénis Brahimi, Jean Paul, Editeur.

41. HANOTEAU ET LETOURNOUX : Les coutumes kabyles. Ed. Chalamel, Paris, 1869.

42. JOSEPH. N. ROBIN : La grande Kabylie sous le régime Turc, Ed. Bouchene, 1999.

فهرس المحتويات

اهداء

كلمة الشكر

مدخل.....01

مقدمة.....08

الفصل الأول

البنية الاجتماعية في بلاد الزواوة أواخر العهد العثماني

أولا: مفهوم العرف.....13

- مكانة العرف في المجتمع الزواوي.....15
- نماذج من القوانين العرفية.....17

ثانيا : التنظيم المؤسساتي للمجتمع الزواوي.....22

- أذروم أو الخروبة.....22
- ثدارث.....23
- ثاجمعث "مجلس القرية ".....23
- مفهوم العرش وفدرالياته.....26
- ثقبيلت (القبيلة).....27
- مفهوم الصف وخصائصه.....27

ثالثا : القيم العرفية للمجتمع الزواوي.....29

- التضامن ومظاهره.....29
- ثيمشرط أو لوزيعة.....31
- الحماية " لعناية".....33
- ذهنية الثأر" ثيمقرط" 36
- الحرب.....38

الفصل الثاني

المرابطون والرحمانية وعلاقتهم بالسلطة المحلية

أولا : أصول المرابطين.....41

- أصولهم 41

- تواجدهم في المنطقة.....43

- مكانتهم في المجتمع الزواوي.....44

- علاقتهم بالسلطة الحاكمة.....48

ثانيا : الطرق الصوفية وعلاقتهم بالمنطقة.....52

- أصل الطريقة الرحمانية.....53

- مواطن انتشارها في الجزائر.....54

ثالثا : دورها وتأثيرها في المجتمع الزواوي.....55

الفصل الثالث

طبيعة العلاقة بين الإدارة المحلية والزواوة

- طبيعة العلاقة بين السلطة وقبائل المخزن.....62

- استراتيجيات الأتراك المنطقة.....73

- ردود فعل سكان المحلين.....76

- دور الزواوة في الجهاد البحري.....79

خاتمة.....82

الملاحق.....84

قائمة المراجع.....89

فهرس المحتويات.....94